رِحلة الخطّ العربي

البشلي

النَّشْأةُ . التَّطوُّر . الجَمالُ

عبد اللطيف عاشور

دار الطلائع

عاشور، عبد اللطيف
رحلة الخط العربي- القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، ٢٠١٩
٨٠ ص؛ ٢٤ سم -
تدمك: ٧ ٨٥٧ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١- الخط العربي
أ - العنوان

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٥٩١٥
الترقيم الدولي: 7 - 857 - 277 - 977 - 978

تصميم الغلاف الفنان: زكريا عبد العال

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

دار الطلائع
للنشر والتوزيع والتصدير
32 شارع أحمد فخري
مدينة نصر - القاهرة
تليفون: 23546392 (202+)
فاكس: 23546393 (202+)
E-mail : info@altalae.com
Web site: www.altalae.com

مُقدِّمة

كتابنا هذا "رِحلة الخَطّ العَربي" .. وهِيَ رِحلَة مُتعدِّدَة المحطَّات .. نَنْزِلُ بِها لِنتعرَّف مِنْ خِلالِها عَلى مَراحِلِ تَطوره، مُنذ أن كانَ بدائيًا إلى مَا صَارَ إليهِ اليَوم، مِن فنٍ جميلٍ رَاقٍ .. أبْدَعَ فيهِ المبْدِعونَ .. فتعدَّدَت أنواعُه، وَتنوعتْ استخداماته.

وَلكن، وَقبل أنْ نَبْدَأ رِحلتنا، لَابد أن نَسأل هَذا السُّؤال: مَا هِيَ أهمية الكتابة في حَياةِ الإنسان ؟

إنَّ الإجَابة عَن هَذا السُّؤال، هِيَ مفتَاح رِحلَتِنا، أوْ هِيَ المحطة الأولى مِن تلكَ الرحلة الطَّوِيلَة الشَّائِقة..

فَهيَّا نَبْدأ..

عبد اللطيف عاشور

حَاجَةُ الإِنسَانِ إِلَى الكِتَابَةِ

الكتابة ظاهرة إنسانية، وضرورة من ضروريات الحياة، ابتكرها الإنسان منذ القِدمِ، ليعبر بها عن أفكارهِ، ولتكونَ وسيلةً للتواصلِ مع بنى جنسِه.

وهى كظاهرة إنسانية، فقد شهدت تطوراتٍ عديدةً، منذ أن كانت بدائيةً، حتى صارت إلى ما هى عليه الآن، من جمالٍ وإبداع.

نَشْأَةُ الْكِتَابَةِ وَتَطَوُّرُهَا:

شهدت الكتابةُ، على مَرِّ التاريخِ، مراحلَ عديدةً من التطورِ، نذكر أهمها لما فيها من طرافة:

مَرْحَلَةُ الطُّورِ الصُّورِي:

إذْ كان الإنسانُ، في أول الأمرِ، يرسمُ صورَ الماديات للدلالة عليها.. فإذا أراد معنى الأسد، رسم أسدًا.. وإذا أراد معنى النخلة رسم نخلة.

وإذا أراد التعبير على أنه ذاهب للصيد، رسمَ عصا طويلة، في نهايتها شص (صنارة)، وهو متجه نحو البحيرة.

وإذا أراد أن يذكر أن ملكَ مصر حاربَ الأشوريين وهزمهم، وأسر رجالًا منهم، رسم صورةَ ملك مصر بالعلامة المتعارف عليها، ومعه جنودٌ يحملون أسلحتَهم، ورسم صورةَ ملك الأشوريين بالعلامة المتعارفِ عليها كذلك، وقد وقع على الأرضِ، تسيلُ منه الدماءُ، ورسم بجواره مجموعةً من جنودِه مكبلين بالسلاسلِ!!

مَرحَلَةُ الطُّورِ الرَّمزِي:

ولكن، ماذا لو أراد الإنسانُ أن يعبر عن معنى ليس له صورة، كالفرحِ، والحزنِ، والكتابةِ؟

عندئذ كان الإنسان يرسمُ صورةً ذات علامةٍ ومدلولٍ بهذا المعنى..

كأن يرسمُ الشعرَ المسدولَ للدلالة على الحزنِ.. والجسم الضخم للدلالةِ على الغنى والثراء..

ومثل ذلك مشاهدٌ كثيرًا في الرسوم المصرية القديمة.. وقريب منه ما كان مُشاهدًا، حتى وقت قريب، في القرى المصرية..

فإذا ما ذهب أحدٌ من أهلها لأداءِ فريضة الحج، رسموا على جدران بيته صورة الكعبةِ والمسجدِ الحرامِ.. وربما رسموا أيضًا جملًا يحملُ هوْدجًا، إذا كان السفرُ عن طريق البر..

وربما رسموا بدل الجملِ سفينةً، للدلالة على أن السفرَ عن طريق البحرِ!!

مَرحَلَةُ الطُّورِ المَقْطَعِي:

وفيه استخدم الإنسانُ الصورةَ للدلالة على مقطعٍ تبدأُ به الكلمةُ.. فإذا أراد أن يكتب كلمة تبدأ بالمقطع «يد» مثل: يُدمر، يُدحرج.. فإنه يرسمُ يدًا، واعتبرها مقطعا تبدأ به الكلمةُ ، لا يراد به نفس اليد!!

مَرحَلَةُ الطُّورِ الحَرْفِي:

وفيه استخدم الإنسانُ صورًا للدلالةِ على الحروفِ التى يريد كتابتها.. فإذا أراد أن يكتب عبارةَ:

غلبت الروم.. ماذا يفعل؟

رسم غرابًا للدلالةِ على حرف الغين، وليمونةً للدلالة على حرفِ اللام، وبابًا للدلالةِ على حرفِ الباء، وتفاحة للدلالة على حرف التاء، وإبريقًا للدلالة على

حرف الألفِ، وليمونةً ثانيةً للدلالةِ على حرف اللام، ورحَى للدلالةِ على حرفِ الراءِ، ووردةً للدلالةِ على حرفِ الواوِ، ومبردًا للدلالةِ على حرفِ الميمِ، وهكذا.

وقد اصطلح كلُّ قومٍ على صُورٍ مخصوصةٍ بقدرِ عددِ حروفِ لغتهم.

أُصُولُ الخُطُوطِ العَرَبِيَّة

يقول الأستاذ حفنى ناصف: والخطوط المستعملة الآن في الدنيا كثيرة جدًّا، لكنها ترجع إلى أمهات قليلة، والمعروف من الأمهات لهذا العهد أربعة:

* الخط المسمارى، الذي كان مستعملًا في بابل وآشور وما حولهما، وقد انقرض الآن.

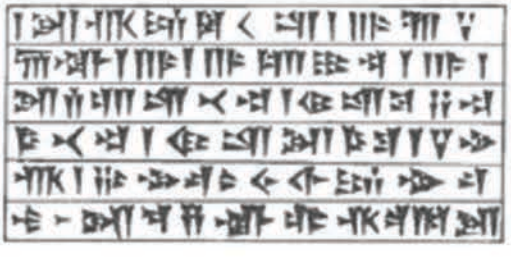

* الخط الخيشى، الذى كان مستعملًا قديما في الشام وانقرض، وعدَّ بعض الإفرنج من فروعه الخط الحميرى والحبشى، وليس بصواب.

* الخط الصينى، وهو مستعمل للآن، ومن فروعه الخط اليابانى والمغولى.

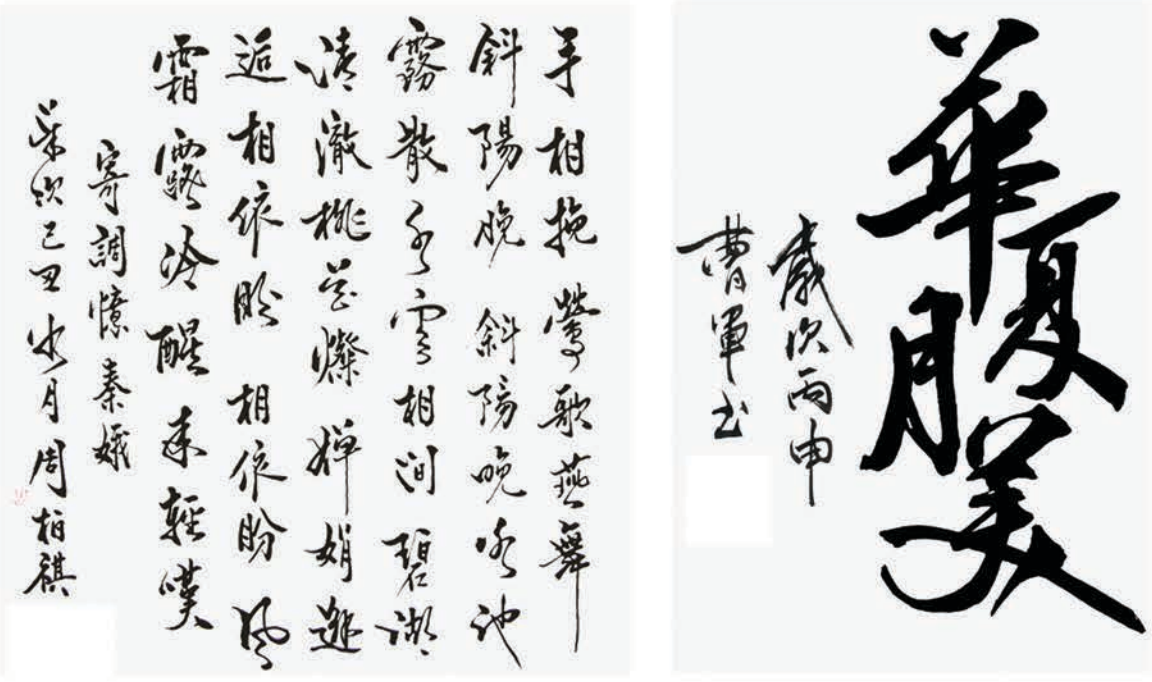

نماذج من الخط الصينى

* الخط المصرى، ومن فروعه: الفنيقى، ومن الفنيقى تفرع أكثر الخطوط المستعملة في آسيا وإفريقيا وأوربا.

والذي يهمنا من هذه الأصول الأربعة، الخط المصرى، لأنه أول حلقة من سلسلة الخط العربى، كما سنرى.

العَرَبُ وَالكِتَابَة

أولًا: أَصْلُ الكِتَابَةِ العَرَبِيَّة:

* تعتبر الكتابة المصرية هى أول حلقة من سلسلة الكتابة العربية..

نماذج من الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) التى سادت في العصور الفرعونية، وقد مرت بمراحل تطور عديدة.

* **ثم الكتابة الفينيقية**، نسبة إلى فينيقيا على ساحل البحر المتوسط، بمحاذاة جبل لبنان.. وكانت تتألف من اثنين وعشرين حرفًا، وهى:

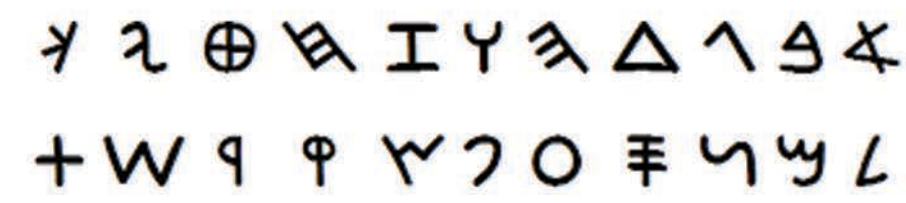

* **ثم الكتابة الآرامية**، نسبة إلى آرام بن سام، الذي يسميه العرب «إرم»..

ومن حروفها:

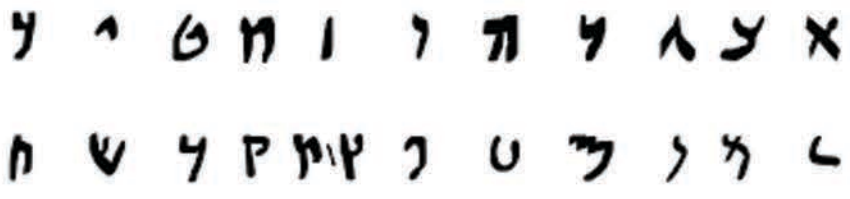

وكتابة المسند، سميت بذلك لأنها مسندة ومأخوذة من الفينيقية.. وتتألف كتابة (خط) المسند من 29 حرفًا.

* ثم انتقلت الآراميةُ وكتابة المسند إلى اليمن، وتعلَّمها كِنْدة، والنبط.. ومنهم تعلَّم أهلُ الحيرة هناك في بلاد العراقِ، والأنبار أيضًا ببلاد العراق، ومنهم تعلَّم أهلُ الحجاز.

والكتابة الحيرية هى التى سميت كوفية بعد ذلك، وانتشرت بعد غزوة بدر، كما سنرى.. نعود بعد ذلك إلى العرب والكتابة..

وحينما نقول الكتابة، فإننا نعنى الخط..

وحينما نقول: العرب والكتابة، فإننا نعنى مرحلتين:

المرحلةُ الأُولَى: الكِتابَة قَبل الإسلَامِ

لم يكن للعرب في جاهليتهم (قبل الإسلام) اهتمامٌ كبيرٌ بالكتابةِ.. إذ كانوا أمة بدوية تهتمُّ بتربية الإبلِ والأغنامِ، والارتحالِ بها بحثًا عن المرعى.. بالإضافة إلى تجاراتهم التى كادت تنحصرُ في أقواتهم وملابسهم وسلاحِهم، وكلُّ هذه أمورٌ لم تكنْ بحاجة إلى العنايةِ بالكتابةِ..

كان العرب يعتمدون كثيرًا على ذاكرتهم اعتمادًا كبيرًا، إذ كانوا يحرصون على حفظ جميع ما يسمعونه من الشعر،والأدب، والأساطير القديمة، وعلم الأنساب، وغيرها.

ولذا قلَّ اهتمامهم بالخط والكتابة، باستثناء بعض المدن القديمة في الجزيرة العربية، التى راجت فيها الكتابة والقراءة، حيث كان الخط معروفًا عند المناذرة واللَّخميين بالحيرة، وعند الغساسنة بتخوم الشام، وكذلك القرشيين بمكة، والأوس والخزرج واليهود بيثرب (المدينة) وفي بعض مدن شمال الجزيرة العربية ، كدومة الجندل.

ولعلَّ المعلقات التى نسمع عنها كثيرًا خير مثال على وجود كُتاب مهرة بين العرب في جاهليتهم.. إذ كانوا يكتبون قصائدهم ويعلقونها على جدران الكعبة.

وعلى الرغم من ذلك، فإن مَنْ أجادَها منهم أنزلوه منزلةً ساميةً، وكان له بينهم شأنٌ عظيمٌ، إذ كان مَنْ يُحسنُ: الرمْيَ، والعَوْمَ، والكتابَة، يُسمَّى كاملا!!

والكاملُ عند العربِ هو الجامعُ للمناقبِ الحسنةِ، وكانت الكتابةُ من أهمِّ تلك المناقب.

وممن ذكرهم التاريخُ من هؤلاء الكَملة (جمع كامل): عمرو بن زرارة، وكان يُلقب بالكاتب.. وغيلان بن سلمة، الذي أسلم يوم الطائف.. وقد اشتهرت الطائفُ بكثرة كتَبَتها، وخاصة قبيلة ثقيف، ومن كتبتها:

يوسف بن الحكم الثقفى، وابنه الحجاج بن يوسف الثقفي.

المرحلةُ الثانيةِ: الكتابةُ بعد الإسلامِ

جاء الإسلامُ، ومعه بدأت مرحلةٌ جديدةٌ في حياة العربِ، وتغيرت نظرتهم للكتابةِ..

حثَّ الإسلامُ أتباعَه على تعلمِ القراءةِ والكتابةِ، فهما مفتاحُ العلمِ والتحضر..

وكان أولُ ما نزل من الوحْي على رسول الله ﷺ:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾

[العلق: 1 – 4]

وأوْلَى القرآنُ الكريمُ القراءةَ والكتابةَ عنايةً خاصةً، إذ تصدرت حروفُ الهجاءِ العديدَ من سورِ القرآنِ الكريمِ مثل: ألم، ألمص، بل إن من سور القرآن الكريم ما سُمي بأسماء حروف الهجاء، مثل: ق، ص.

لقد دعا الإسلامُ إلى طلبِ العلمِ.. فإن المتأمِّل في القرآنِ الكريم، يجدُ أن مادة «علم» ذكرت في آياته عشرات المرات..

وهل هناك علمٌ بدون قراءةٍ وكتابة؟!

وقد رُوى عنه ﷺ: «قيِّدوا العلمَ بالكتابةِ».

ولعلَّ ما حدث منه ﷺ يومَ بدرٍ أصدقُ دليلٍ على حرصِ الإسلام على تعلم القراءةِ والكتابةِ.. إذْ أسر المسلمون آنذاك سبعين رجلًا من قريش وحلفائهم، كان منهم كُتَّاب، فقَبِلَ ﷺ من الأميين الافتداء بالمال، وجعل فدية الكاتبين أن يعلِّم كلُّ واحدٍ منهم عشرةً من صبيان المدينةِ، ففعلوا.. مما ساعدَ في انتشارِ الكتابةِ، في المدينةِ، ثم الأمصارِ التى دخلت الإسلامَ فيما بعد..

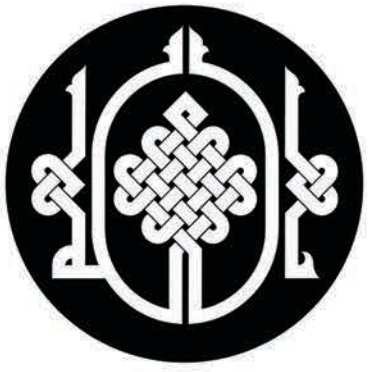

انتشارُ الخطِّ العربيِّ في الأقطارِ الإسلاميَّة

كان الخطّ العربيُّ في صدرِ الإسلامِ يُسمَّى مكيًّا ومدنيًّا.. ثم سُمِّى كوفيا لشهرة أهل الكوفة بالكتابة.

وكان له شكلان: التقوير والبسط..

* فالخط المقور (ويسمى أيضا بالنسخى، واللين، والبديع، والمدوّر) يمتاز بالليونة والاستدارة، وقد كثرُ استعماله، وعمَّ تداوله في المراسلات والكتابات المعتادة التى تتطلب السرعة في إنجازها.
* والخط المبسوط، أو الخط اليابس، وكان يميل إلى القساوة وكثرة الزوايا، ولا يستعمل عادة إلا في النقش على المحاريب، وأبواب المساجد، وجدران المبانى الكبيرة، وفي كتابة المصاحف الكبيرة، وما يقصد به الزينة والزخرفة.. وهو ما أطلق عليه فيما بعد اسم «الكوفى»

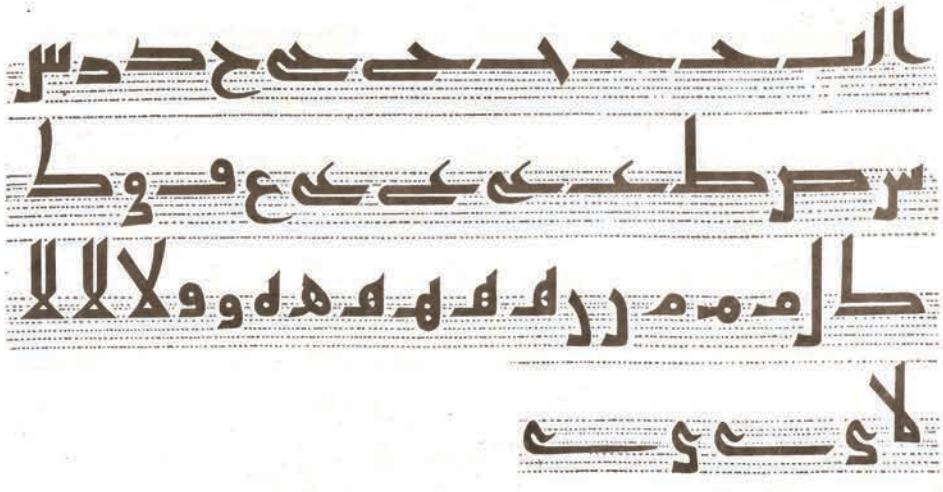

وذلك بعد بناء الكوفة بأمر من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وانتشر هذا الخط بين أهلها، الذين برعوا فيه وجوَّدوه.

ومع اتساعِ رقعةِ الدولةِ الإسلاميةِ، أصبحت الرسائلُ المكتوبةُ هى أهمّ وسائلِ الاتصالِ التى تربطُ أقاليمَ تلك الدولةِ.

وأصبح للخليفةِ كُتَّابه الذين يسطرون الرسائلَ الموجهةَ من الخليفةِ إلى عُمَّالِه في تلك الأقاليم.

وفي عهد النبوةِ كان لرسول ﷺ كُتَّابٌ يكتبون الوحْيَ، وآخرون لكتابة الرسائلِ التى يبعثُ بها ﷺ إلى الملوكِ.. وكان ألْزمُهم للنبى ﷺ، وأكثرهم كتابةً له زيدَ ابن ثابت ومعاويةَ بن أبي سفيان، وغيرهما..

وكانت رسائلهُ ﷺ تختم بخاتمه الخاص..

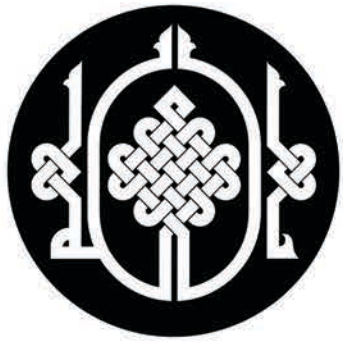

نماذج من رسائل النبي ﷺ

* رسالةٌ إلى المنذر بن ساوى، أمير البحرين، يدعوه فيها إلى الإسلام:

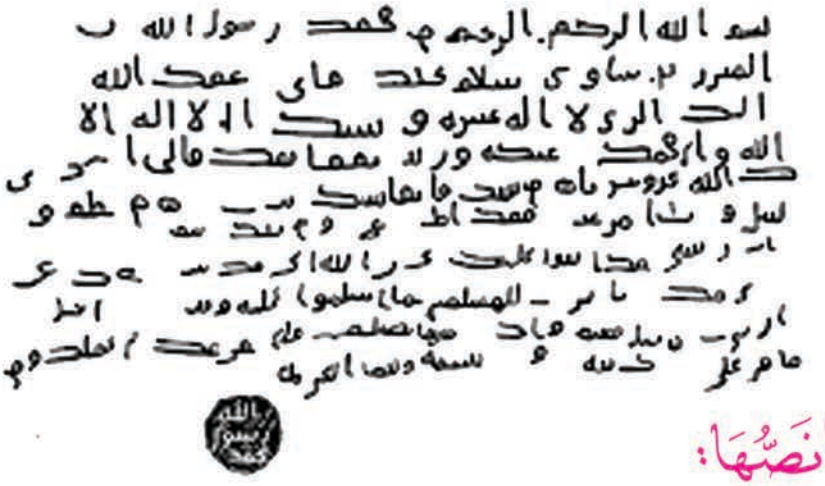

وهذا نصُّها:

(1) بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى
(2) المنذر بن ساوى سلام عليك فإنى أحمد الله
(3) إليك الذى لا إله غيره وأشهد أن لا إله إلا
(4) الله وأن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فإنى أذكر
(5) ك الله ﷻ فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ويطع ر
(6) سلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى
(7) وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرًا لله وأنى قد شفعتك في
(8) قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل
(9) الذنوب فاقبل منهم وأنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن
(10) أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليك الجزية.

الله
رسول
محمد

* رسالة إلى هرقل قيصر الروم، وقد أرسلها مع دحية الكلبى.

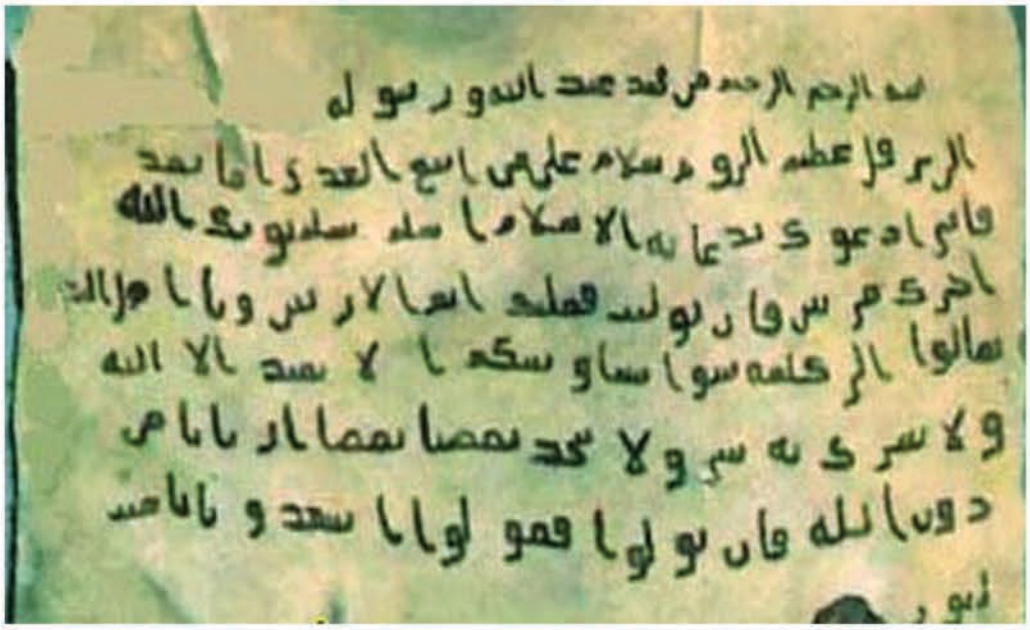

وَهَذا نَصُّهَا:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من ابتع الهدى، أما بعد، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[1] و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]

(1) الأريسيون: قيل هم فرقة من فرق النصارى، وقفوا في وجه مبدأ التثليث، وكانوا يؤمنون بالتوحيد.

* رسالته صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك مصر، وقد أرسلها مع حاطب بن أبي بلتعة...

رسالة النبى صلى الله علية وسلم إلى المقوقس

وهذا نصُّها:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: 64]

كِتَابَةُ الْمُصْحَفِ

لما هاجر النبى ﷺ من مكة إلى المدينة، اتَّخذ كُتابًا، عُرفوا بكتَّابِ الوحي... وكان أشهرهم زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه.

وكانوا يكتبون بين يدى رسول الله ﷺ.. ولم تكن الكتابةُ على الورَقِ متاحةً آنذاك.. فكانوا يكتبون على الرقاع (الجلد)، واللِّخافِ (الحجارة الرقيقة)، والعُسب (جريد النخل).

وهكذا حُفظ القرآن الكريم جميعه مكتوبًا في عهد رسول الله ﷺ، وحُفظ مرتبَ السورِ والآيات.. كما حُفظ في صدورِ الصحابة.

وفي عهدِ الخليفةِ أبي بكر الصديق ﷺ، مات كثيرٌ من حفظةِ القرآنِ في أثناءِ حروبِ الرِّدةِ، فاقْترح عمر بن الخطاب ﷺ، على أبي بكر ضرورةَ جمع القرآن.. وبالفعلِ تمَّ جمع القرآن في نسخةٍ مكتوبةٍ.

وفي عهد الخليفةِ عثمان بن عفان، ﷺ، وبعد أن اتسعت رقْعةُ الدولةِ الإسلامية، تم كتابةُ نسخٍ متعددةٍ من القرآنِ الكريمِ، ووُزِّعت على الأقاليم الإسلامية، كالمدينة، ومكةَ، والشامِ، والبصرةِ، والكوفةِ.

ولا يزالُ الناسُ، حتى عهدنا الحاضر، يقولون: المصحف العثمانى، نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان، ﷺ.

هذه ورقة من المصحف العثماني الذي وزع على الأمصار.. فهل تستطيع قراءتها؟ إنها الآياتُ من آخر سورة سبأ وبداية سورة فاطر..

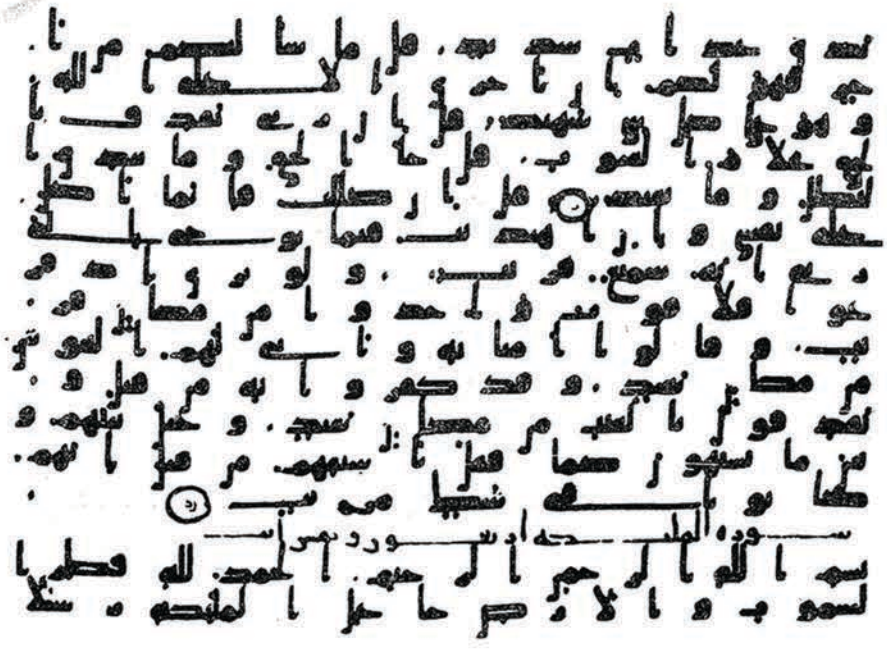

﴿ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾

[سبأ: 46 – 54، فاطر: 1]

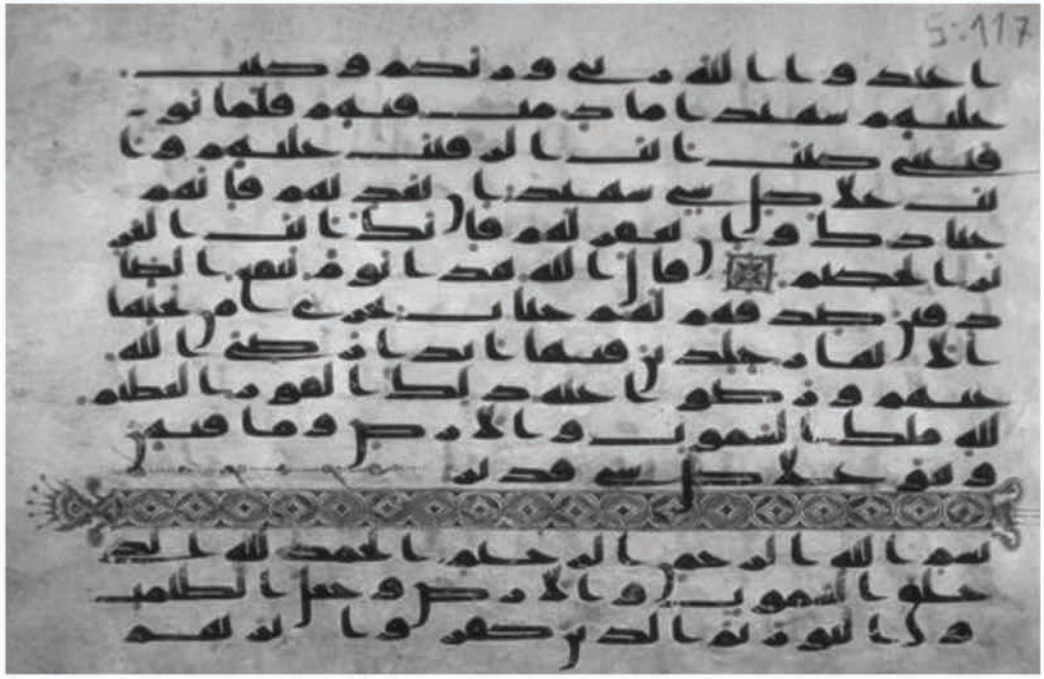

إنها خواتيم سورة المائدة وأول سورة الأنعام.

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 117- 120]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]

﴿ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ
قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ
طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟
حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ﴾ [الأعراف 86 - 87]

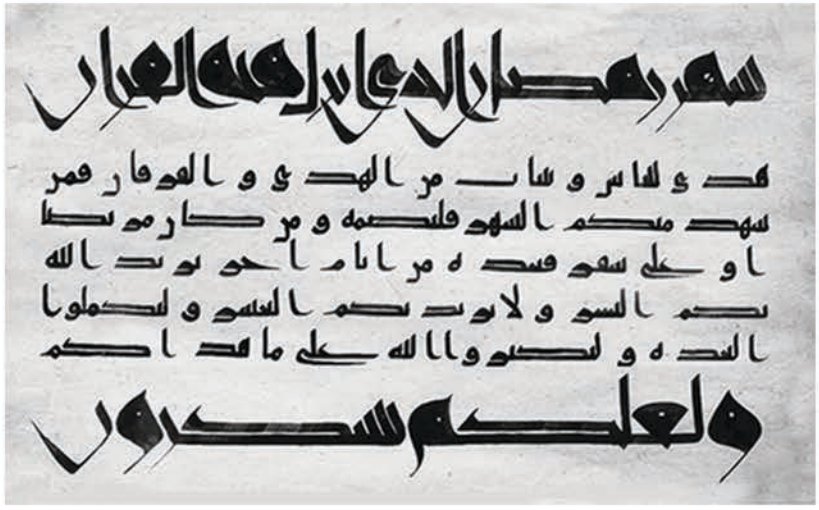

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: 185]

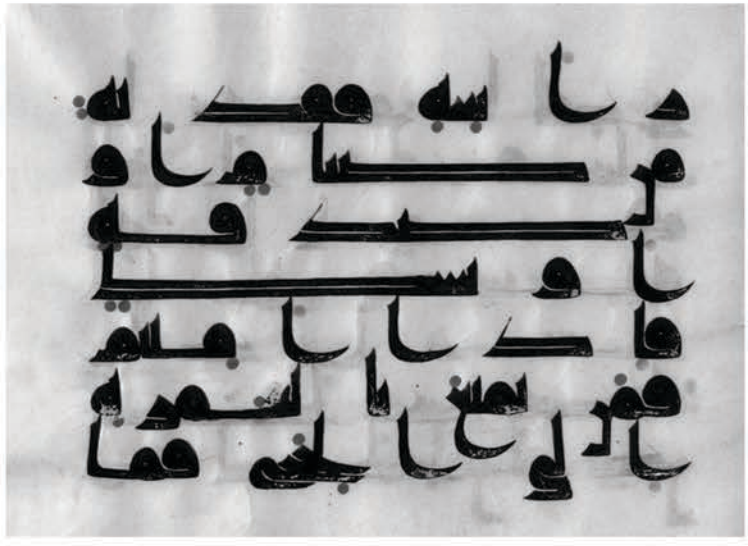

﴿ ....رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ﴾ [البقرة: 196]

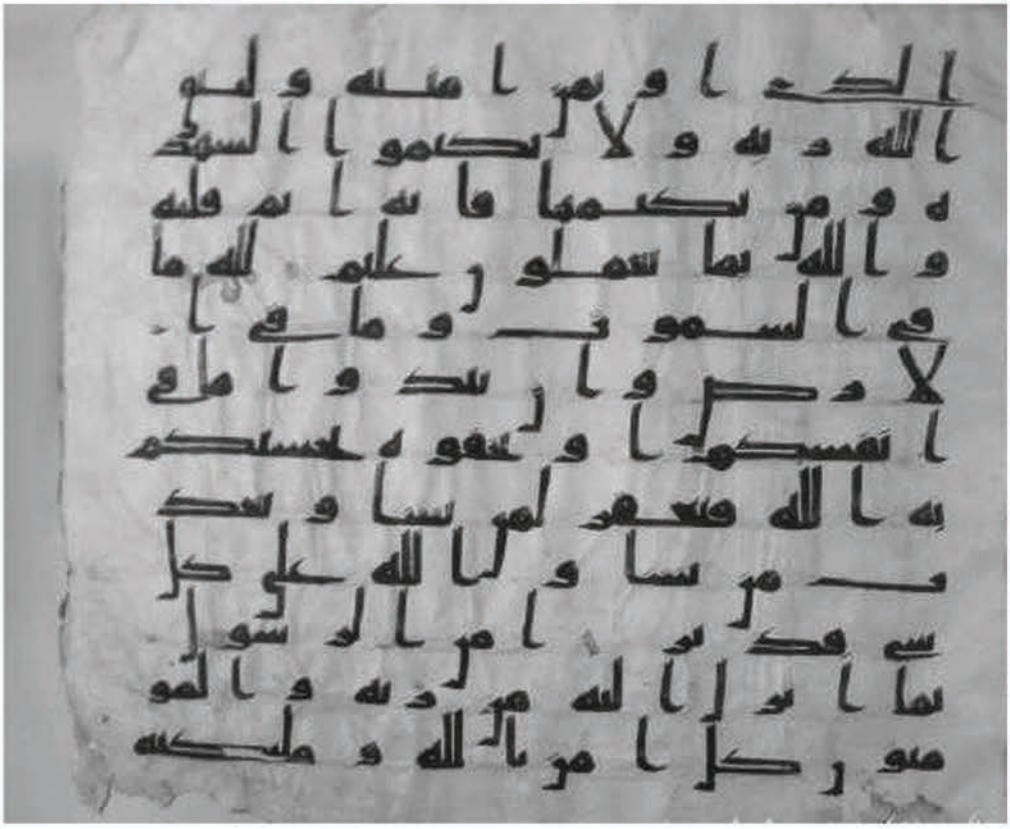

وَهَذا نَصُّهَا:

﴿ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ [البقرة: 283 – 285]

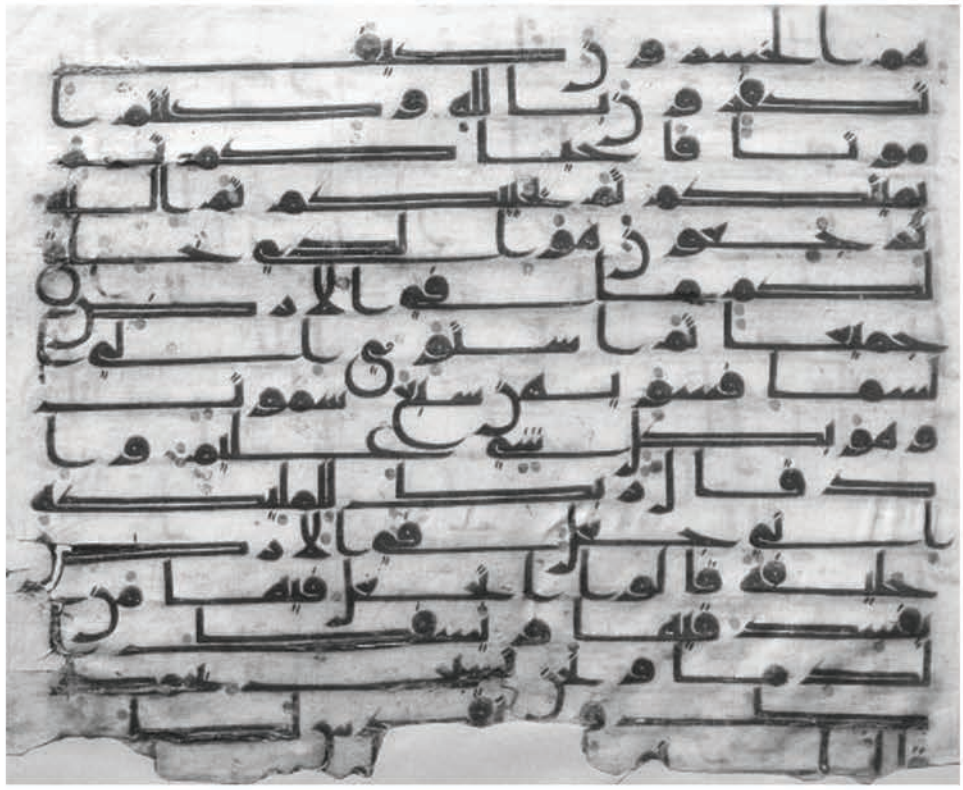

وَهَذا نَصُّهَا:

﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾

[البقرة:27 – 30]

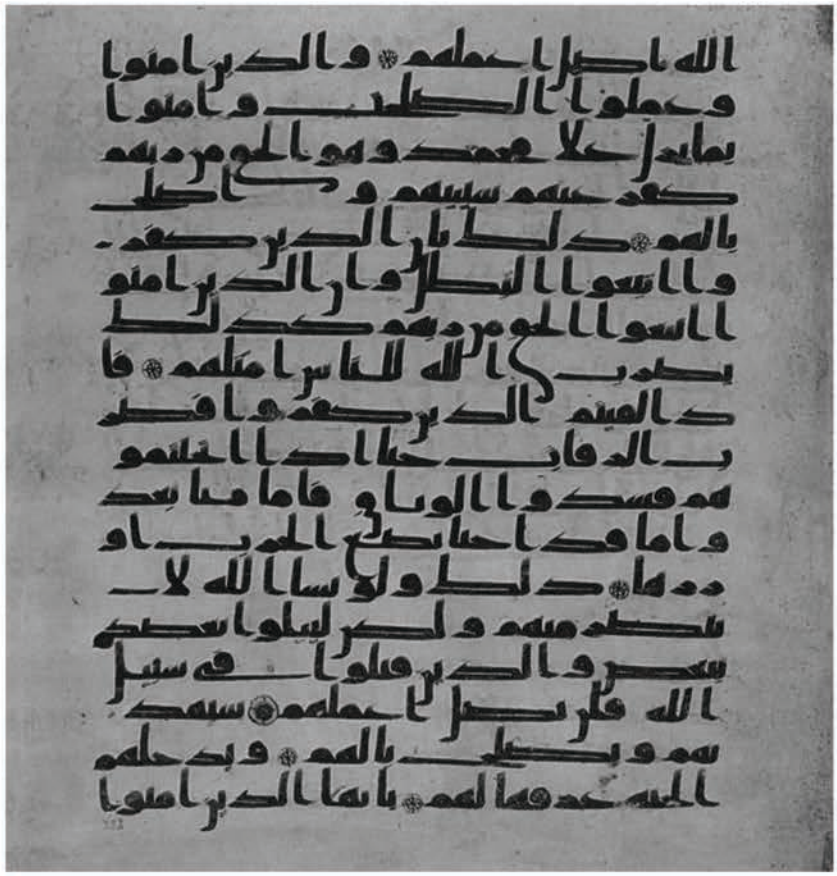

وهذا نصُّها:

﴿ ... ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ
٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا
فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ
وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ
عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [محمد: 1 – 7]

هذه ورقة من أول سورة الروم:

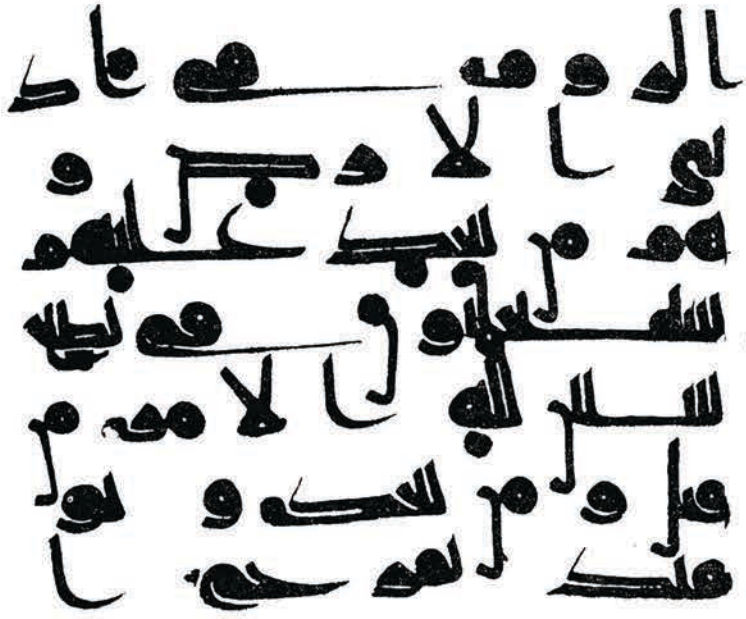

(1) الروم في أد
(2) ني الأرض و
(3) هم من بعد غلبهم
(4) سيغلبون. في بضع
(5) سنين لله الأمر من
(6) قبل ومن بعد ويو
(7) مئذ يفرح ا

﴿ .... الٓرٓ ۝١ الٓمٓ ۝٢ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٣ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٤ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ﴾

[الروم: 2 – 4]

الشكل والإعجام في الخط العربي

المراد بالشكْلِ تقْييدُ الحروفِ بالحركاتِ، أي ضبطها بالفتحة، أو الكسرة، أو الضمة،أو السكون..

أما الإعجامُ فهو التنقيطُ، أي وضع النقط فوق أو أسفل الحروفِ، كالنقطةِ فوق الذال لتمييزها عن الدال.. والنقطة فوق الزاي لتمييزها عن الراء..

إذ كان الخط قديمًا خاليا من الضبط والتنقيط .. وذلك يرجعُ إلى ما كان يتميز به العربُ من فصاحة فطرية..

إننا حينما ننظر إلى كلمة (حمل) .. فإننا نحتار:

هل هى اسم أم فعل؟. وإذا كانت اسمًا فهل معناها الخروف الصغير، أم ما تحمله الدابة على ظهرها؟.

تعددت المعانى.. ومع ذلك كان العربى يقرأ الكلمة صحيحةً معتمدًا على سياقِ الكلامِ، وذلك لتعوده على النطقِ الصحيحِ..

وهكذا، كان المصحفُ الشريفُ (مصحف عثمان) يُقرأ بطريقة صحيحة سليمة، وحروفه مجردة من الضبط والتنقيط..

ولما انتشر الإسلام، ودخل فيه غير العرب، ظهر من لا يحسنون العربية، لذا، كان لابد من وضع القواعدِ والضوابطِ التى تضمنُ سلامَة اللغةِ بصفةٍ عامةٍ، والقرآنِ بصفةٍ خاصةٍ..

كَيفَ بَدَأَ شَكْلُ الحُرُوفِ ؟

مما يُذكر في هذا الصدد، أن ابنة أبي الأسود الدؤلى نظرت إلى السماء في ليلة شديدة الصحو، فقالت لأبيها:

ما أحسنُ السماء (بضم النون)

فقال: نجومها..

قالت: أردت التعجب.

فقال: كان عليك أن تقولى: ما أحسنَ السماءَ، وتفتحى فاكِ.

وقد ذكر ذلك أبو الأسود لعلى بن أبي طالب، كرم الله وجهه، فعلمه أبوابًا من النحو، منها باب إنّ، وباب الإضافة، وباب الإمالة، وقال له: أنحُ هذا النحو يا أبا الأسود،فاشتغل أبو الأسود بوضع أبواب في النحو زيادة عما عرفه من على رضى الله عنه، منها باب العطف، وباب النعت، وباب التعجب، وباب الاستفهام.

وقد ظهر اللحن والخطأ في كلام العرب أولًا في العراق، مما أفزع الحجاج ابن يوسف الثقفى، والى العراق آنذاك..

فطلب من أبي الأسود الدؤلى أن يضع طريقة يحفظ بها ألسنة الناس من الخطأ.. فاستعان أبو الأسود بكاتب من عبد قيس، وقال له:

خذ المصحف، وحِبرًا يخالف في لونه لون الحبر المكتوب به المصحف..

فإذا رأيتنى فتحت شفتى بالحرف فضع نقطة واحدة فوقه...

وإن كسرتهما فضع نقطة واحدة أسفله..

وإن ضممتهما فاجعل النقطة بين يدى الحرف.

فإن تبعت شيئًا من هذه الحركات غُنة فضع نقطتين..

وأخذ أبو الأسود يقرأ القرآن بالتأنِّى.. والكاتب يضع النقط..

وكلما أتم الكاتب صفحة أعادها إلى أبى الأسود ليتأكد من صحتها.. واستمر على ذلك حتى أتم المصحف كله.

فأخذ الناس هذه الطريقة وشكلوا بها الحروف.. فكانوا:

- يضعون للدلالة على فتحة الحرف نقطة فوقه..
- وعلى كسرته نقطة من أسفله..
- وعلى ضمته نقطة عن شماله..
- والحرف الساكن لا يضعون عليه شيئا..
- وإذا كان الحرف منونا يضعون نقطتين فوقه أو أسفله أو عن شماله، واحدة للدلالة على الحركة، والأخرى للدلالة على التنوين.. فإذا كان بعد التنوين حرف من أحرف الحلق وضعوهما إحداهما فوق الأخرى، علامة على أن النون مظهرة، وإلّا وضعوهما إحداهما بجانب الأخرى علامة على أن النون مدغمة أو خفية..

لِمَاذَا لَمْ تَشْتَهِرْ هَذِهِ الطَّرِيقَة ؟

لم تشتهر طريقة أبي الأسود هذه إلا في المصاحف فقط، وذلك حرصًا على سلامة القرآن..

أما الكتب العادية فكان شكلها نادرًا، وذلك لبراعة العرب في الفصاحة.. وكانوا يعدُّون الشكل عيبا وتجهيلًا لهم.. حتى قالوا:

شكلُ الكتاب سوءُ ظنٍ بالمكتوب إليه!!

ومن العرب من كان ينفر من الشكل بهذه الطريقة، لقبح منظره، وقد عُرض مرةً كتابٌ مشكولٌ على عبد الله بن طاهر، وكان خطه جميلًا، فقال:

ما أحسنَ هذا الخط، لولا كثرة الشونيز !!

والشونيز هو حبة البركة (الحبة السوداء)..

شبه ابن طاهر النقط بالشونيز، وكأن الكاتب بعد أن كتب الكتاب بخطه الجميل، نثر عليه بعضًا من الحبة السوداء!!

الإعْجَامُ:

وهو وضع النقط على بعض الحروف المتشابهة في الرسم، لعدم وقوع اللبس في قراءتها، وذلك خوفًا لما يطرأ عليها من تصحيف.- وكان موجودًا قبل الإسلام، إلا أنه أهمل.. فلما كثر الخطأ والتحريف في الكتابة، وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان.. دعا الحجاج بن يوسف الثقفى اثنين من تلاميذ أبي الأسود الدؤلى، هما: نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى، وطلب منهما وضع علامات على الحروف تمنع التحريف والخطأ.. فقررا إعجام (تنقيط) بعض الحروف، وإهمال بعضها.. وجعلا نقط الإعجام بالحبر الذى يكتب به الحرفُ، أما نقط الشكل فتكون بالحبر الأحمر، وبذلك أصبحت

الحروف الثمانية العشرين، منها 14 معجمة، وهى:

ب، ت، ث، ج، خ، ذ، ز، ش، ض، ظ، غ، ف، ق، ن.

و 14 مهملة، وهى:

أ، ح، د، ر، س، ص، ط، ع، ك، ل، م، هـ، و، ى.

واعتبرت الياء مهملة لأَنها، في الآخر كذلك دائما.. أما في الأول والوسط فهى معجمة.

الشَّكل الحالي في الكِتَابَة:

في عهد الدولة العباسية، ولما ازدادت رقعة الدولة الإسلامية، وضع الخليل ابن أحمد الفراهيدى، الطريقة التى عليها الناس الآن، وأصبح الشكل والإعجام يكتبان بنفس الحبر الذي يكتب به الحرف..

فوضع الفتحة علامة للنصب، والكسرة علامة للجر، والضمة علامة للرفع، والسكون علامة للجزم.. وهكذا..

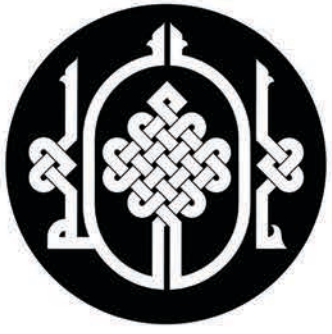

أقلام الخط العربي

ظلت حروف الخط العربي فترة طويلة على حالتها، لا تغير في شكلها، ولا محاولة لتطويرها.

كان ذلك إبان زمن النبوة، والخلافة الراشدة، وذلك لاشتغال المسلمين آنذاك بالحروب والفتوحات.

حتى كان زمن بنى أمية، وفيه بدأت تلك الحروف تجد اهتمامًا من الخطاطين، الذين تنافسوا في السموِّ والارتقاء بها.. وتجلت مواهبهم على صفحات المصاحف.. واتخذ نساخ كل مصر طريقة لهم في الكتابة، تميزهم عن غيرهم، ونسبت إليهم.

فكان هناك: الخط المدنى، والمكى، والبصرى، والكوفى، والأصفهانى، والعراقى، والمشق، والتجاويد، والمائل، والراصف، والسلواطى، والقيراموز، وهو الذى تولد منه الخط الفارسى.

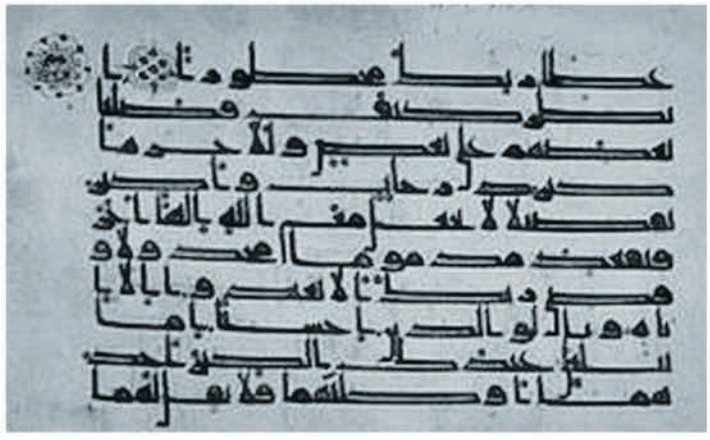

خط المشق من أوائل الخطوط العربية، يتميز بامتداد حروف الدال،والصاد، والطاء، والكاف، والياء الراجعة، واختصار المسافات بين الكلمات والنموذج الموضح هو للآيات: 20 - 23 من سورة الإسراء.

وقد ذكر ابن النديم، في فهرسه، ما يقرب من أربعين نوعًا من خطوط المصاحف، والورَّاقين والكُتَّاب.. إلَّا أن أغلب هذه الأنواع ظلت مجهولة، ولم يعرف منها سوى الأسماء دون الأشكال.. ويعود بعض هذا التنوع في كثرة أسماء تلك الأقلام إلى التصحيف والتحريف.. فمثلًا قلم السجلَّات، سُمى بالسجلّى، والسجل، ثم صار السحلى.. وكذا القلم الرئاسى، صُحِّف إلى الرياشى..

يعرف الخط العراقى بالخط المحقق، وهو يمتاز بالتنسيق والتجويد، وقد زُيِّن بالتشكيل والتنقيط، وتساوت فيه المسافات بين السطور.

الآيات: 93، 95 من سورة الأنعام، وقد كتبت بالخط المحقق.

كما يعرف أيضا بالوراقى، نسبة إلى الوِراقة، أو إلى الورَّاق.. والوراقة جمع أوراق، ونسخ الكتب فيها، ومقابلتها على أصلها وتجليدها، ومن تكون هذه صناعته يسمى ورَّاقا.. فكان الوراقون في الصدر الأول بمنزلة أصحاب المطابع الآن[1].

(1) لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى الأستاذ حفنى ناصف في كتابه تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية.

القلم الجليل أو الجلي.

في أواخر الدولة الأموية، ومع بداية الدولة العباسية، ظهر بين أقلام الكتابة، قلم كبير عُرف باسم **الجليل**، يُكتب به في المحاريب، وعلى أبواب المساجد، وجدران القصور، ونحوها.. وهو ما يسميه العامة الآن **الخط الجلى**.. وكانوا يتخذونه من لب الجريد الأخضر، ثم اتخذوه من القصب الفارسى، وأهل مصر اتخذوه من البوص الأبيض الغليظ.

ولابد فيه من ثلاثة شقوق لسريان الحبر فيه، وتسهيل الكتابة به.

وهو أوسع الأقلام مساحة في العرض.. وأقل ما تكون مساحة رأسه عند موضع[1] القط 24 شعرة من شعر البرذون[2] معترضات بعضها بجانب بعض، ويسمى حينئذ قلم **الطومار**.

وعلى هذا، فقلم الطومار أصغر أنواع القلم الجليل.. وكان هذا قلم توقيع الخلفاء على التقاليد والمكاتبات، والكتابة إلى السلاطين والعظماء.

قلم الطومار

(1) قط القلم: قطع سنه بحدٍّ بعد بريه.

(2) البرذون: يطلق على غير العربى من الخيل والبغال.

ولا يقوى على الكتابة بالجليل إلا الرجل القوى بعد التعلم الشديد، حتى قيل: قلم الجليل يدقُّ صلب الكاتب.. وسبب ذلك أن الكاتب كان يكتب به واقفا.

والطومار هو اسم للورقة الكبيرة التى عرضها ذراع، ولم يقطع منها شيء، وهو ما يعرف الآن باسم فرخ الورق.

وكان المعروف من الطومار في الدولتين العباسية والفاطمية خمسة أنواع:

- الطومار البغدادى، وعرضه ذراع مصرى واحد، بالذراع المعروف بالبلدى.
- الطومار الحموى، وهو دون قطع البغدادى بقليل.
- الطومار الشامى المعتاد، وهو دون قطع الحموى بقليل.
- الطومار المصرى، وهو دون قطع الشامى بقليل.
- الطومار المغربى، وهو دون قطع المصرى بقليل.

أصول الأقلام عند المتقدمين:

عدَّ المتقدمون أصول الأقلام أربعة:

* قلم الطومار، وعرض قطته 24 شعرة معترضة من شعر البرذون.
* قلم الثلثين، وعرض قطته 16 شعرة، لأنه ثلثا قلم الطومار.
* قلم النصف، وعرض قطته 12 شعرة، لأنه نصف الطومار.
* قلم الثلث، وعرض قطته 8 شعرات، لأنه ثلث الطومار.

واتفقوا على أن طول ألفات الكتابة في كل قلم بمقدار مربع عرضه، وعلى ذلك يكون:

- طول الألف في قلم الطومار 576 شعرة، وهى حاصل ضرب 24 × 24.
- وطولها في قلم الثلثين 256 شعرة، وهى حاصل ضرب 16 × 16.
- وطولها في قلم النصف 144 شعرة، وفي قلم الثلث 64 شعرة.

والألف هى أساس الحروف، وطول باقى الحروف يعرف بنسبتها لها.

ولكل قلم من هذه الأقلام الأربعة: ثقيل، وخفيف، وأوسط. فالثقيل ما كان إلى الشبع أميل، والخفيف ما كان إلى الدقة أقرب، والأوسط ما كان بينهما.

وبهذا الاعتبار تصل الأقلام الأربعة إلى اثنى عشر نوعًا، فيقال مثلًا: خفيف الثلثين، وثقيل النصف، وأوسط الثلث.

وَمِنْ هَذِهِ الأَقْلامِ الأَصْلِيَّةِ تَوَلَّدَتْ عِدَّةُ أَقْلامٍ: [1]

منها:

- قلم الديباج، وقلم السجلات (مختصر الطومار)، وهو ما بين الطومار وثلثى الطومار.
- قلم الخرِفاج وتولَّد من الديباج.
- قلم السميعى، وقلم الأشربة[2] (جمع شِرب)، وتولَّدا من أوسط السجلات.
- **الزنبورى، والمفتح، والحرم**، وتولَّدت من ثقيل الثلثين.
- قلم **المؤامرات**، أو غبار الحلبة، أو الجناح، وتولد من الثلثين.
- قلم العهود، وتولد من قلم الحرم.
- المدوَّر الكبير، أو القلم الرياسى، والمدوَّر الصغير، وخفيف الثلث، وتولدت من مفتح النصف.
- قلم الرقاع، وتولد من خفيف الثلث.

---

(1) تاريخ الأدب، أو حياة اللغة العربية، الأستاذ حفنى ناصف.

(2) وفي بعض المراجع: قلم الأشرية، من الشراء: أي للعقود والبيع والشراء، وفي معاملات الأراضى والبيوت، وفي عقود تحرير الرقيق، وغيرها.

- قلم النرجس، وقلم الريحان، وقلم المنثور، والقلم المرصع، والقلم اللؤلؤى، وقلم الوشى، وقلم الحواشى، والمدمج، والمقترن، والمعلق، والمحقق، والمسلسل، والجوانحى، وقلم القصص..

قال ابن الوحيد: قطة الريحان أشد القطات تحريفًا، وقطة الرقاع أقلها تحريفًا.

لِكُلِّ قَلَمٍ عَمَلٌ خَاصٌّ:

وكان لكل قلم من هذه الأقلام حد محدود، وعمل خاص..

- فقلم الطومار كان لتوقيع الخلفاء على التقاليد، والمكاتبات، والكتابة إلى الخلفاء والسلاطين.
- وقلم مختصر الطومار، وهو ما بين الطومار والثلثين، لكتابة اعتماد الوزراء والنواب على المراسيم، ولكتابة السجلات المصونة.
- وقلم الثلثين، كان للكتابة من الخلفاء إلى العمال، والأمراء في الآفاق.
- والمدور الصغير، كان لكتابة الدفاتر، ونقل الحديث والشعر.
- والأشربة، كان للكتابة إلى مهندسى الرى.
- وقلم المؤامرات، كان لاستشارة الأمراء ومناقشتهم.
- وقلم العهود، كان لكتابة العهود والبيعات.
- وقلم الحرم، كان للكتابة إلى الأميرات من بيت الملك.
- وقلم غبار الحلبة[1] كان لكتابة بطائق الحمام الطائر.

(1) شبه لدقته بغبار حلبة الخيل [أحمد البشلى في تعليقه على كتاب الميزان المألوف في وضع الكلمات والحروف لخطى الثلث والنسخ لمؤلفه محمد أفندى مؤنس زاده]

تجويد الخط

بدأ تجويد الخط والاهتمام به أول ما بدأ في كتابة المصحف الشريف، فما أن وصلت مصاحف عثمان إلى الأمصار حتى تلقفها النساخ، و أولوها عنايتهم واهتمامهم.. فأجادوا نقلها، وتنافسوا في كتابتها، وتفننوا في خطها.. فظهرت براعتهم.

اتخذ نساخ كل مصر من الأمصار طريقة في الكتابة تميزهم عن غيرهم، مما أدى إلى ظهور أنواع مختلفة من الخطوط، كالخط المكي، والمدني، والكوفى، والبصرى، والأصفهاني، والفارسى، وغيرها..

أَوّلُ مَنْ أجاد خَطّ المصاحِفِ

أما أول من أجاد خط المصاحف وحسَّنه، فهو خالد بن أبي الهياج، وكان منقطعًا للكتابة للوليد بن عبد الملك.. وهو الذي كتب بالذهب على محراب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة سورة الشمس، وما بعدها من السور إلى آخر القرآن الكريم..

ومن بعده جاء مالك بن دينار، وهو من كبار الزاهدين..

وتتابع المجيدون بعد ذلك، حتى جاء قطبة المحرر في أواخر الدولة الأموية الذى اشتهر بحسن خطه، وهو الذي بدأ في تحويل الخط العربي من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن، وكان أكتب أهل زمانه، وهو الذي اخترع القلم الجليل، وقلم الطومار.

ومن بعده جاء رجلان من أهل الشام، انتهت إليهما جودة الخط في عصرهما، وهما الضحاك بن عجلان، واسحق بن حماد.

ومن بعدهما جاء جماعة ممن أثروا الخط، كان أشهرهم إبراهيم الشحرى (السجزى) وأخوه يوسف، وكانا أمْهر أهل زمانهما في فنون الخط.. وإبراهيم هذا هو الذي ولَّد من الجليل قلم الثلثين، ثم قلم الثلث.. وأخوه يوسف هو الذي ولَّد من الجليل قلمًا أرق منه، وهو القلم المدوّر الكبير، فأعجب به ذو الرياستين الفضل بن سهل، وزير المأمون وأمر ألا يحرر الكتب السلطانية إلا به، وسماه القلم الرياسى، وهو قلم التوقيع.

وعن إبراهيم الشحرى أخذ الأحول المحرر، وهو من عمال البرامكة، وهو الذي اخترع قلم النصف، وخفيف الثلث.. كما اخترع قلما[1] متصل الحروف بعضها ببعض حتى حروف (زر ذاود) وسماه المسلسل.. وقلما مقصوعًا سمّاه الجوانحى، وقلما لحمام الرسائل سماه غبار الحلبة. وقلم المؤامرات، وقلم القصص.

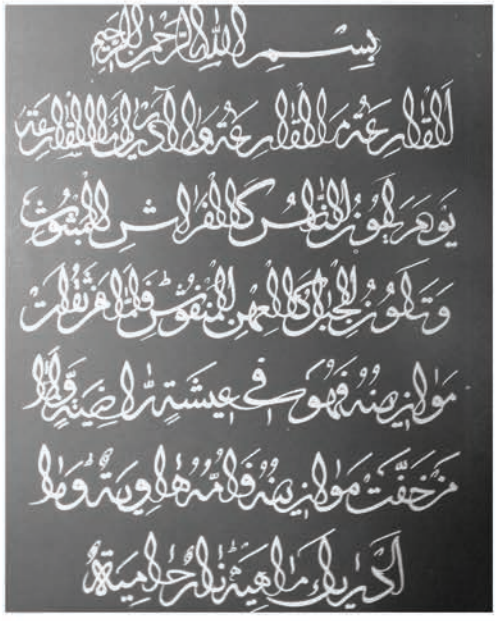

سورة القارعة بالخط المسلسل ←

(1) نذكر أن كلمة القلم تعنى الخط، وقلم متصل الحروف، أي خط متصل الحروف.

وعن الأحول المحرر أخذ الوزير **أبو على محمد بن مقلة** (الشهير بابن مقلة)، وأخوه **عبد الله بن مقلة**.. إذ لم ير الناس أبدع من خطهما..

وقد أتم ابن مقلة ما بدأه قطبة المحرر من تحويل الخط من شكله الكوفى إلى ماهو عليه الآن.. وبه ضرب المثل في جمال الخط، وروعته.. قال الناظم:

خط ابن مقلة مَـنْ أرعـاه مقلته ودَّت جوارحُه لو أصبحت مُقلا

ويعتبر ابن مقلة أوَّل من وضع مقاييس الحروف وأبعادها بالنقط، وضبطها ضبطًا محكما.. وانتشرت طريقته في مشارق الأرض ومغاربها.

ومما يذكر أن ابن مقلة تولى الوزارة لثلاثة من الخلفاء: هم المقتدر بالله، والقاهر بالله، والراضى بالله، وعاش حياة متقلبة، نظرًا لكثرة خصومة، خاصة مع الخليفة الراضى بالله، أدت في النهاية إلى سجنه، وقطع يده اليمنى، ثم قطع لسانه، وتوفى في سجنه في شوال من عام 328هـ.

وعن الوزير ابن مقلة أخذ **محمد السمسمانى** و **محمد بن أسد**، وعنه أخذ أبو الحسن على بن هلال البغدادى المعروف **بابن البواب** الذي أكمل قواعد الخط وهندسته، واخترع عدة أقلام..

وعن ابن البواب أخذ **محمد بن عبد الملك**، وعنه أخذت الشيخة المحدثة الكاتبة زينب، الملقبة **بشهدة بنت أحمد الآبرى**، ولدت ببغداد عام 484 هـ وتوفيت بها عام 574 هـ.. وكانت تعرف بفخر النساء، وعنها أُخذ الحديث بسند عالٍ. واستمر التطوير والتحسين في الخط العربي، حتى وصل إلى ماهو عليه الآن.. ولازال التطوير مستمرًا.

أشهر الخطوط العربية
ونماذج منها

(1) الخط الكوفي

ورد هذا الخط إلى شبه الجزيرة العربية عن طريق التجارة من بلاد الأنباط، والحيرة، والأنبار.. وكان في بدايته خطا بدائيا جافا..

وقد سمى بالكوفى، على الرغم من كونه لم يستحدث فيها، وإنما نظرا لما لاقاه من الكوفيين من عناية، واهتمام، إذ بلغ فيها من الجودة والإتقان والابتكار مبلغا كبيرًا.

والكوفى خط هندسى زخرفى، شهد تطورًا كبيرًا حتى صار إلى ما هو عليه الآن.. تتميز حروفه بالثبات والاستقرار.. وعُرف منه أنواع، أهمها:

* **كُوفِي المَصَاحِفِ:** وهو أقدم الخطوط التى استخدمت لتدوين القرآن الكريم (الخط المكى، الخط المدنى، ثم الكوفى والبصرى).

ويتميز بخلوه من النقط والشكل، كما يظهر في النموذج التالى.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾

[لقمان: 29 – 30]

* **الكُوفي المُورَّق (المشَجَّر)**: وفيه تكوّن نهايات حروفه ما يشبه أوراق الأشجار فتبدو غاية في الروعة والجمال، وكأن حروفه سيقان أنبتت، وظهرت فيها الأوراق.

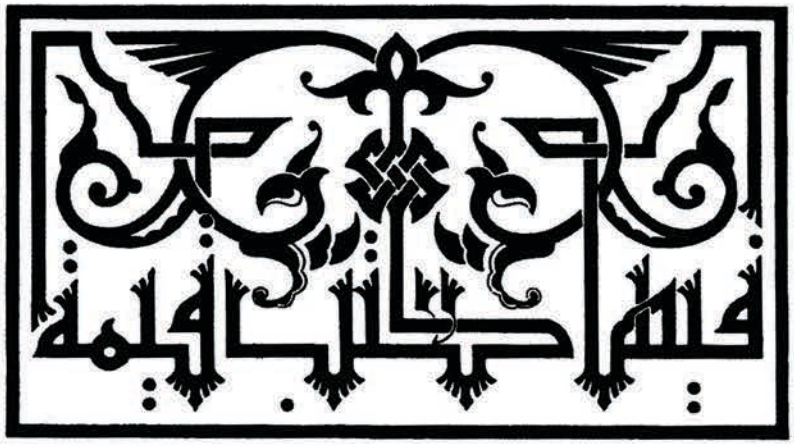

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: 3]

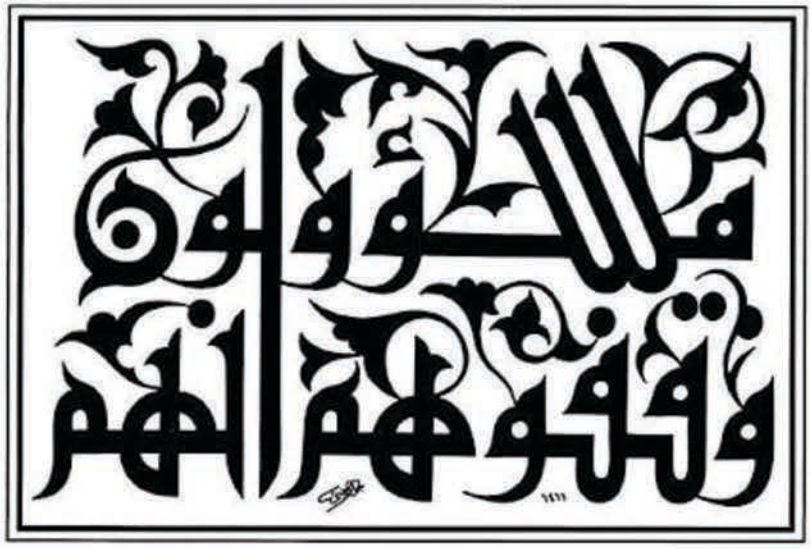

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: 24]

* **الكُوفي المُزَهَّر :** وهو في الأصل كوفى مورّق، وتم ملء الفراغ فيه بعناصر نباتية.

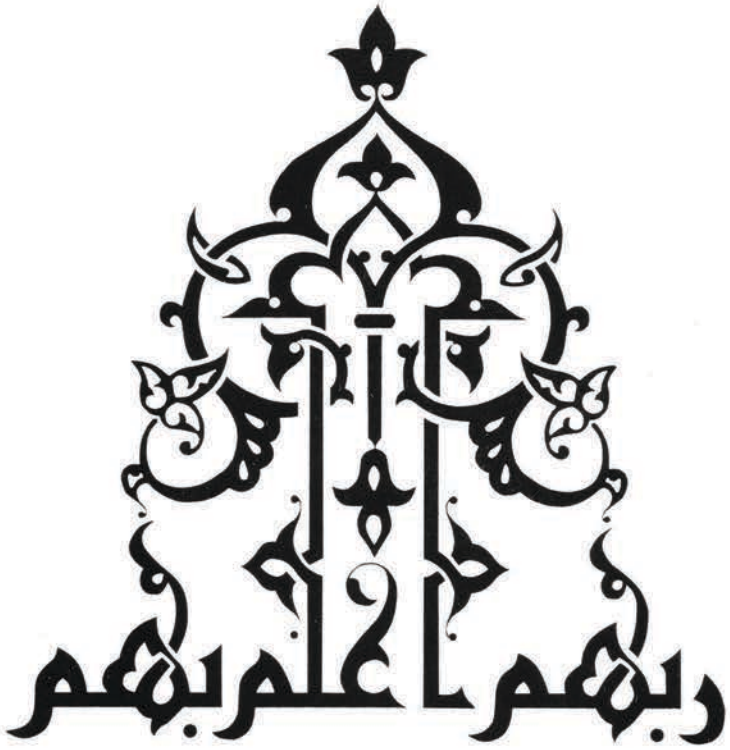

﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الكهف: 21]

* الكُوفي المَضفُور: وفيه تتعانق حروفه لتكوِّن ما يشبه الضفيرة.

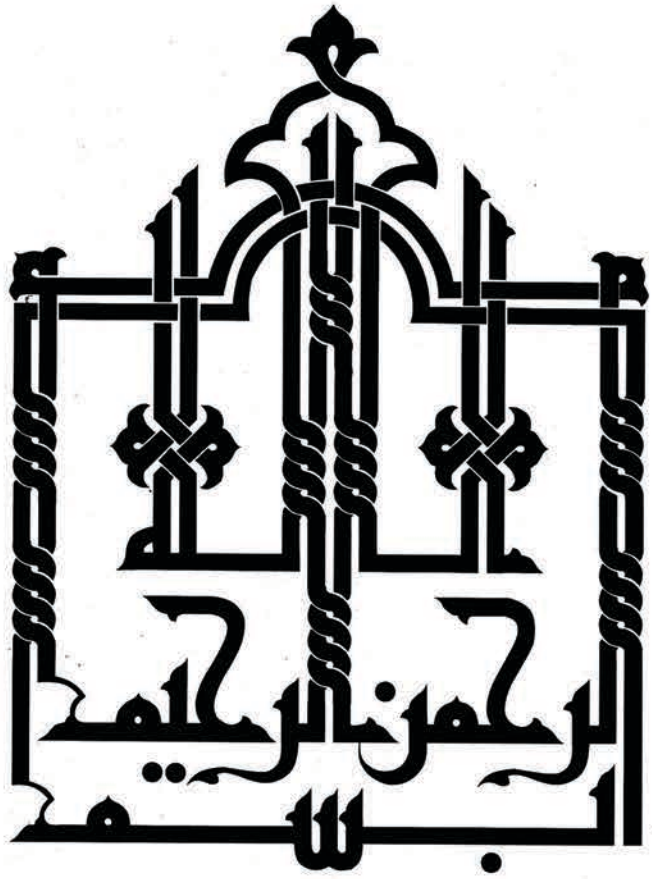

* **الكُوفِي المِعمَارِي :** ويتميز بتشابك رؤوس الألفات واللامات، أعلى الكتابة، لتأخذ شكل عقود معمارية.

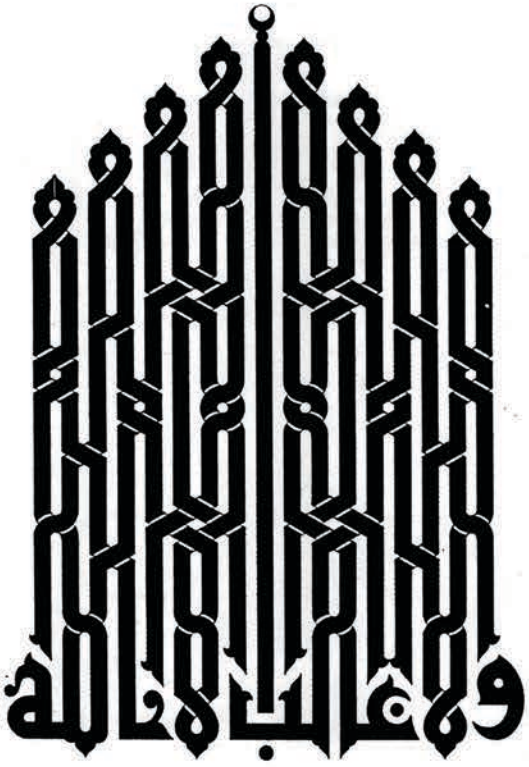

ولا غالب إلا الله

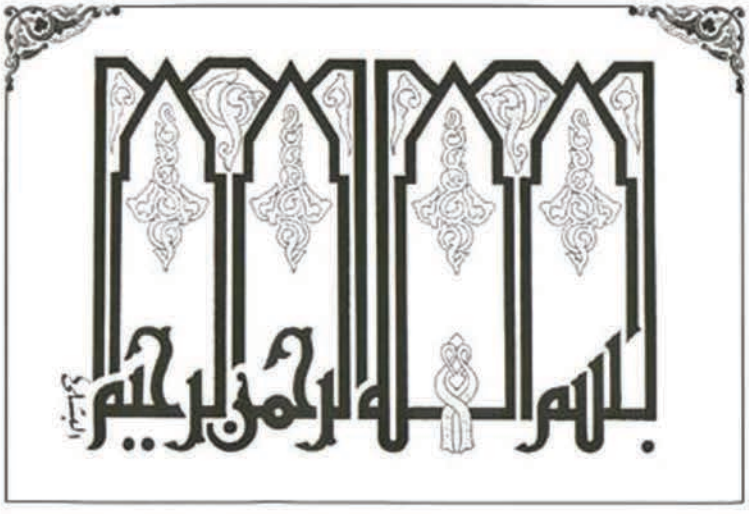

* **الكُوفِي الهَنْدَسِي (المربع) :** وهو خط هندسى، يمكن كتابته على أرضية مقسمة إلى مربعات، وتظهر تقاطعات حروفه عن شكل مربعات.

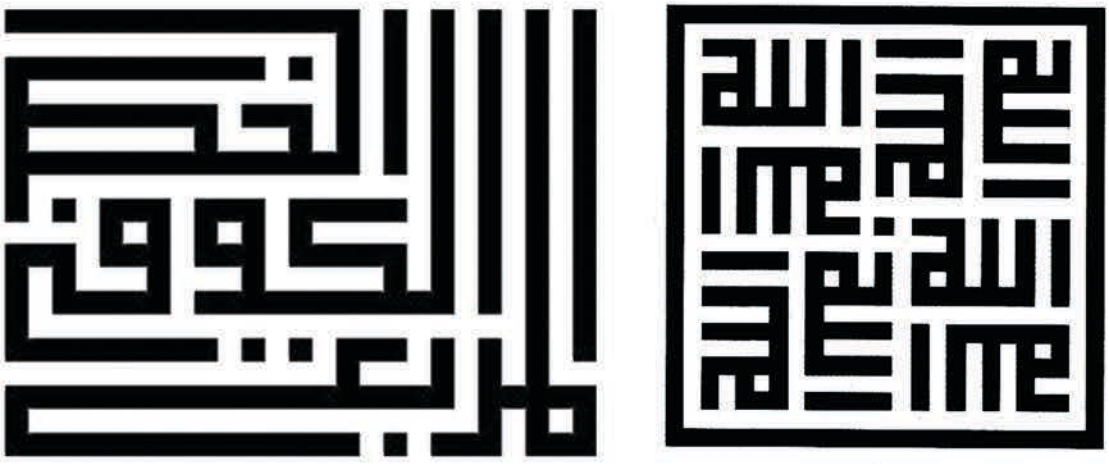

ويمكن استخدام الكوفى الهندسى في ابتكار أشكال أخرى غير المربعات، كما في الشكل التالى، فقد كتبت كلمة «محمد» لتعطى شكلا خماسيا نتيجة التكرار المنتظم.

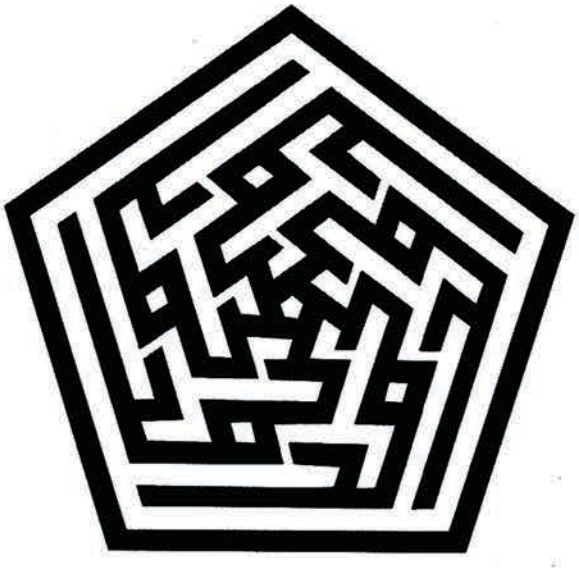

(2) خَطُّ الثُّلُثِ

هو أروع الخطوط العربية، وأجملها.. لايجيده إلا المهرة الأفذاذ.. ولايُعدُّ الخطاط خطاطا إلا إذا أتقن كتابة خط الثلث..

وسمى بذلك لأنه يكتب بقلم يُقطّ محرَّفا بسمك ثلث قطر القلم، إذ أنه يُكتب بحرف القلم وسمكه..

تمتاز حروفه بالمرونة واللين، مما جعله خطا قابلًا للتشكيل والتركيب.. فكان مجالًا خصبًا لإبداع الخطاطين.

وهو الخط التوأم للخط النسخ، وقد ولَّدهما ابن مقلة من خطى الطومار والجليل.. وبين النسخ والثلث ملامح تشابه كثيرة، إلا أن النسب فيهما متفاوتة.. بالإضافة إلى قابلية خط الثلث للتركيب والتشكيل في لوحات مختلفة، منها المربع، ومنها المستطيل، ومنها الدائرة، وأنصاف الدائرة، والبيضاوى، وغير ذلك..

وبهذا الخط، كتبت الآيات القرآنية على أستار الكعبة، وفي كثير من المساجد الكبرى في العالم الاسلامى.

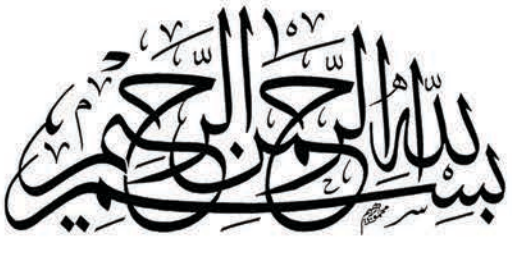

(3) خَطُّ النَّسخ

هو خط يجمع بين الرصانة والبساطة.. ومثلما يدل عليه اسمه، فقد كان النساخون يستخدمونه في نسخ الكتب، وذلك لسهولته وسرعة الكتابة به.. ثم كتبت به المصاحف منذ العصور الإسلامية الأولى، ولا تزال تكتب به حتى عصرنا الحالى.. وكذا الصحف والمجلات.. وهو الخط المستخدم في معظم آلات الطباعة، وذلك لسهولة قراءته وإمكانية ضبط حروفه.

كان هذا الخط قد ظهر على يد ابن مقلة، في القرن الثالث الهجرى، وسمّاه البديع، ولما كثر استخدامه في نسخ المصحف، بدلا من الخط الكوفى، غلب عليه اسم النسخ بدلًا من البديع.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟
لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا
أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ
أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ
مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن
يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَصَصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ
مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

هكذا يبدو خط النسخ بوضوحه، وسهولة قراءته، وسرعة إدراك العين لكلماته،
وكذا سهولة تشكيل حروفه، ولذا، أصبح الخط المفضل لكتابة المصحف الشريف.

(4) خَطُّ الرِّقْعَةِ

هو خط حديث نسبيا، ابتكره العثمانيون أيام السلطان عبد المجيد، ولذا يعرف كثيرًا باسم الخط العثماني، ويعتبر أبو بكر ممتاز بك أول من وضع قواعده.

يتسم خط الرقعة بسهولة قراءته، وسرعة كتابته.. وهو أكثر الخطوط شيوعًا في الدول العربية، باستثناء بلاد المغرب العربي، فهو قليل الاستخدام فيها.

يتميز خط الرقعة باعتدال حروفه وقصرها، لذا يمكن كتابته في المساحات الضيقة..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

رحم الله رجلا سمحا

إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى..

رواه البخاري

وَخُزُ اللِّسانِ أَحَدُّ من وَخزِ السنانِ

سَلامَةُ الإِنْسانِ فى حلاوَةِ اللِّسانِ

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلكَ أَنْ

تَغْفِرلى ذَنبى وَتَشْرَحَ لِى صَدْرِى

وَتُيَسِّرلِى أَمْرِى وَتُعْطِنِى وَلَاتَحْرِمْنِى

وَتُكْرِمْنِى وَلَاتُهِنِّى

(5) خَطُّ الدِّيوَانِي

وهو أيضا من الخطوط التى ابتكرها العثمانيون.. وسمى بذلك نسبة إلى ديوان السلطان العثمانى، حيث كان يستخدم في كتابة المراسلات السلطانية، وهو مستنسخ من خط الرقعة، ولذا كان يطلق عليه رقعة الباب العالى. ويعتبر إبراهيم منيف أول من وضع قواعد هذا الخط، وذلك أيام حكم السلطان محمد الفاتح.. ثم جاء بعد ذلك مصطفى غزلان وضبط تلك القواعد بنسب ثابتة، ونشره في البلاد العربية، ولذا يطلق عليه أيضا اسم الخط الغزلانى.

وللخط الديوانى جمال خاص يستمده من حروفه المستديرة والمتداخلة، إلا أن ذلك قد يسبب صعوبة في قراءته.. إذ قد يلجأ الخطاط إلى وصل الحروف المنفصلة كالواو والراء بما بعدها، على غير المألوف..

وقد تفرع من الخط الديوانى نوعان:

* **الدِّيوَانِي العَادِي:** وهو خالٍ من الزخرفة.

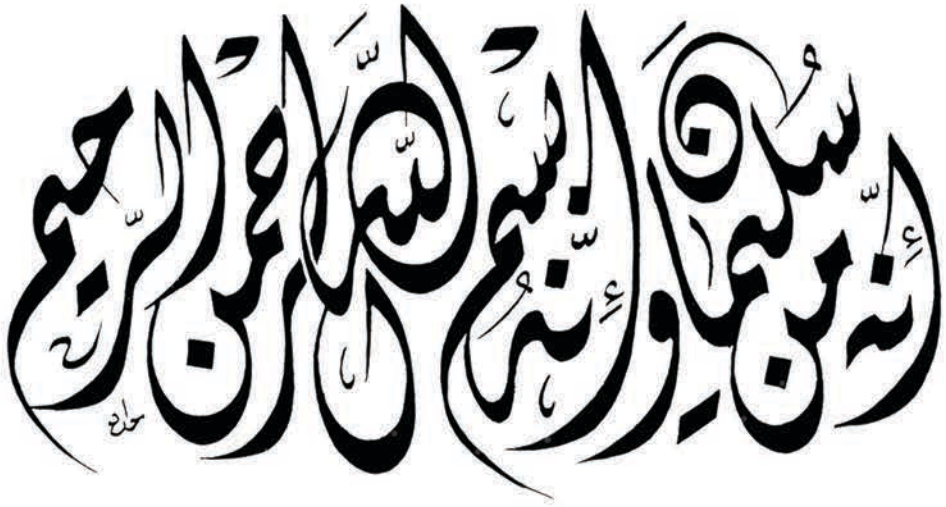

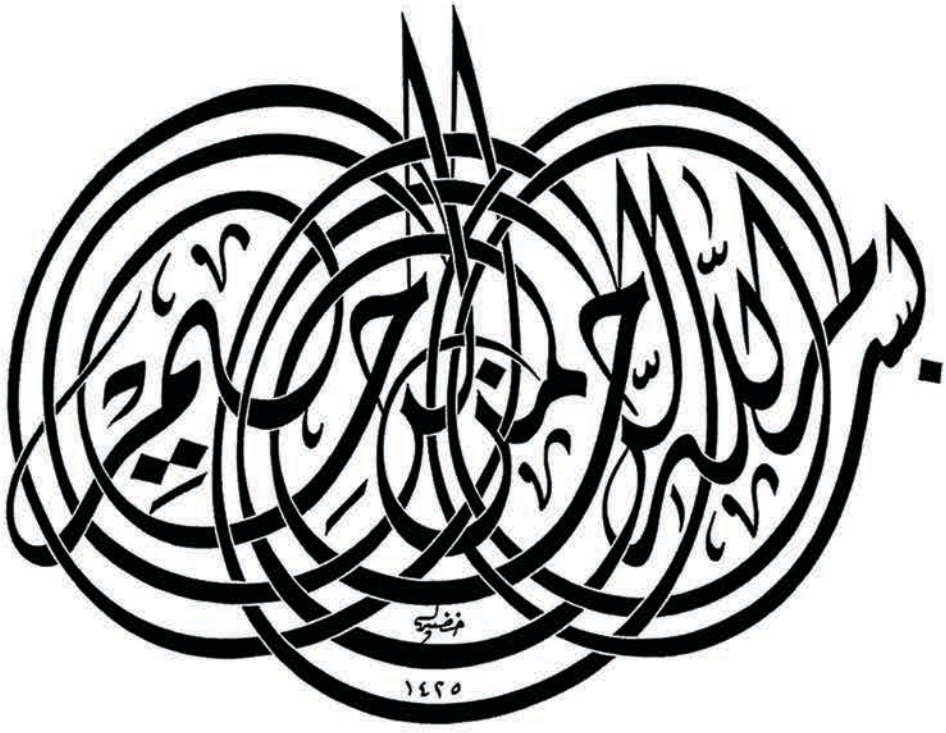

* **الدِّيوَانِي الجَلِيّ:** وهو خط زخرفى كما نرى..

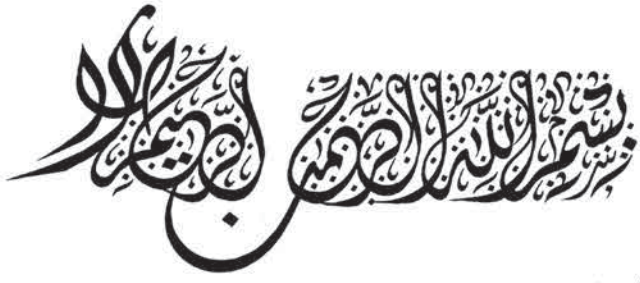

يعتبر الخط الديوانى أكثر الخطوط ليونة..

إذ يعتبر التقوس والتدوير سمة غالبة على حروفه، التى يمكن إبداعها في تراكيب مختلفة، منها البيضاوى ومنها الدائرى. مما يزيده بهاءً وجمالًا وروعة.

(6) الخَطُّ الفَارِسِي

ويطلق عليه أيضا خط التعليق.

ظهر في بلاد فارس (إيران)، إذ استخلصه حسن الفارسى من خطوط الرقعة والنسخ والثلث.. ووضع قواعده مير على سلطان التبريزى.. وهو خط جميل، تمتاز حروفه بالدقة والاستطالة والرشاقة، وهى تنحدر في اتجاه واحد في ليونة واستدارة.. كما يمتاز بالسهولة والبعد عن التعقيد.. لا يتحمل التشكيل..

برع فيه كثير من الخطاطين، حتى أصبح من أجمل الخطوط. وقد سماه البعض: عروس الخط العربى.

وقد تفرع منه ثلاثة أنواع:

* خط الشكستة.. وهو مستخلص من خطى الفارسى (التعليق)، والديوانى.. ويؤخذ عليه صعوبة قراءته، كما ترى في النموذجين التاليين، ولذا لم ينتشر كثيرًا.

* الخط الفارسى المتناظر.. وفيه أبدع الخطاطون في عمل لوحات غاية في الجمال، خاصة في تلك التى تتشابه حروف كلماتها، بحيث يمكن استخدام الحرف الواحد في أكثر من كلمة.. ولذا يجد القارئ أحيانا صعوبة في قراءته على الرغم من جماله!!

* خط النستعليق.. وهو مولَّد من خطى الفارسى (التعليق) والنسخ..

(7) الخَطُّ المَغرِبي

هو أحد خطوط الأبجدية العربية.. ينتشر في بلاد المغرب العربي من لبيبا وحتى المغرب.. وجنوبا في موريتانيا، كما استخدم قبل ذلك في بلاد الأندلس..

تأثر الخط المغربى بالخط الكوفى، إذ دخلت الكتابة العربية إلى بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامى، وكان الخط الكوفى أشهر وسائل الكتابة هناك آنذاك، وقد لاقي اهتمامًا كبيرًا خاصة في مدينة القيروان، ولذا سمى بالخط القيروانى، الذي استخدم في كتابة المصاحف.. ومنه استحدث الخط الإفريقى..

وللخط المغربى أنواع أهمها:

الخَطُّ المَغرِبي المجَوهَر

وهو أكثر الخطوط المغربية استعمالاً.

يتميز بالجمال وتناسب حروفه، وتناسق سطوره.. ولذا سمى بالمجوهر، نسبة لعقد الجوهر.. وبه تحرر الرسائل الخاصة..

الخط المجوهر في رسالة للسلطان مولاي الحسن الأول،
مؤرخة بعام 1291هـ، دورية الوثائق الملكية بالرباط، عدد 3، ص 338

الخط المغربي المبسوط:

وهو أول ما يجب تعلمه من الخطوط، لبساطته، وسهولة قراءته، وبه تطبع المصاحف.

صفحة من المصحف الشريف كتبت بالخط المغربي المبسوط.

الخَطُّ المَشْرِقِي :

وهو ما تزخرف به العناوين.. وعادة ما يكتب بماء الذهب، بحروف غليظة متداخلة وسمى بهذا الاسم لأن أصله من بلاد المشرق.

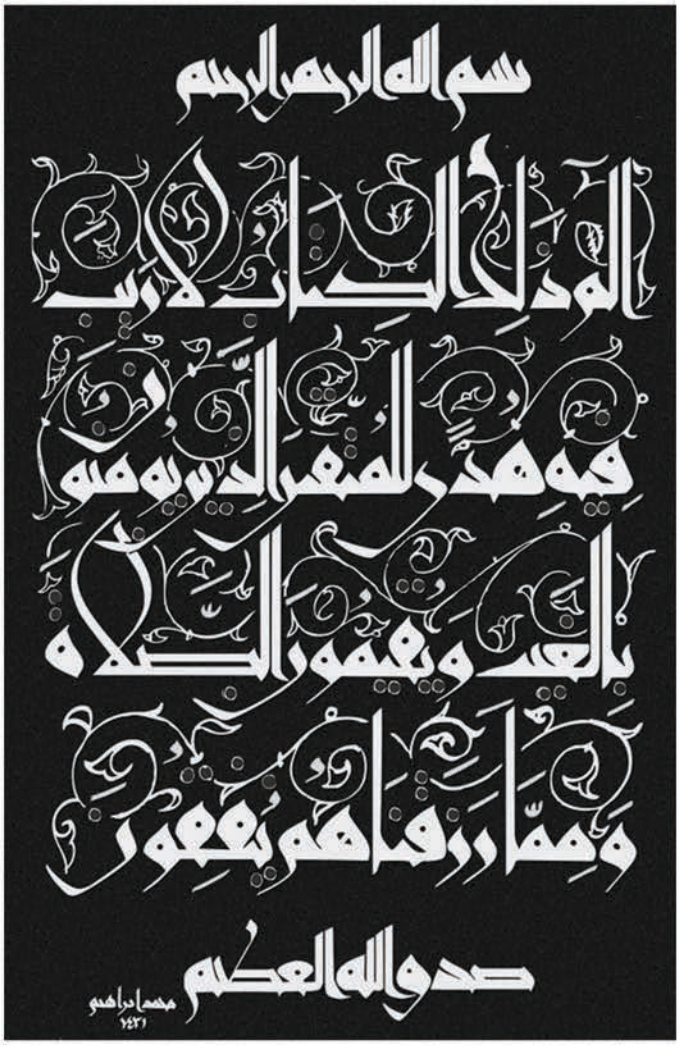

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : 1 - 3]

الخَطُّ الكُوفي:

وكانت تكتب به المصاحف قديمًا ولازال يكتب به، محفورًا، في الجبس، على جدران المدارس والمساجد.

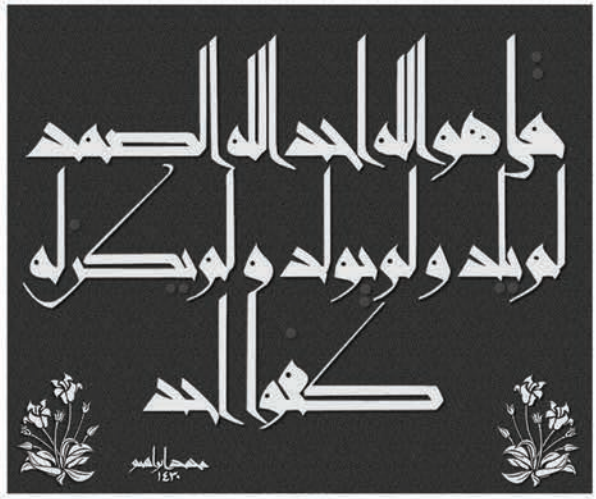

وفي المغرب العربى شهد الخط الكوفى تطورًا عظيمًا.. وتلقفه المبدعون من الخطاطين، وعلى أيديهم ظهر ماسُمى بالخط الفاسى، والخط المراكشى.

وفى الأندلس شهد أيضا تطورًا كبيرًا، ونتج عنه نوعان:

* الخَطُّ الأَندَلُسِي: الذي يتميز بكثرة الزوايا.

* الخَطُّ القُرطُبي (الأَندَلُسِي): ويتميز بكثرة الانحناءات والاستدارات.

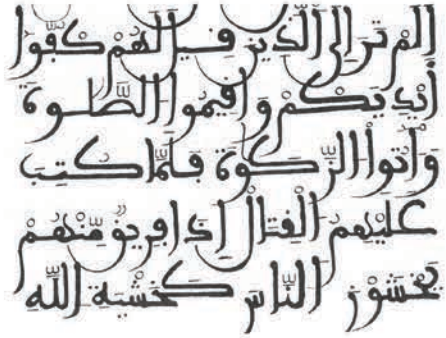

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : 77]

* الخَطُّ السُّودَانِي:

وينسب إلى ما كان يعرف باسم السودان الغربى (إفريقيا الغربية حاليا)، وكان يسمى أيضا بالخط التمبكتى، نسبة إلى تمبكتو، بدولة مالى حاليا، وكانت أهم المراكز العلمية والثقافة الإسلامية بغرب إفريقيا..

والخط السودانى تعتبر أحد تنوعات الخط المغربى، وأهم ما يميزه أنه خط غليظ، ثقيل، ذو زوايا عديدة، قليل الاستدارة.

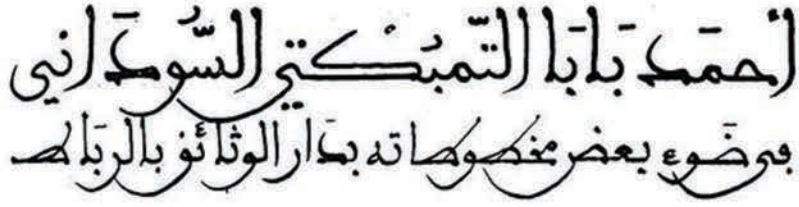

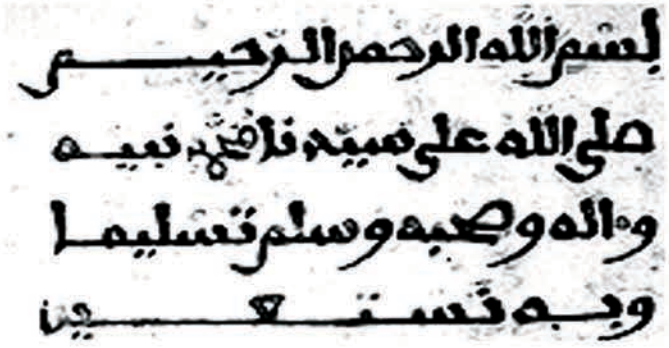

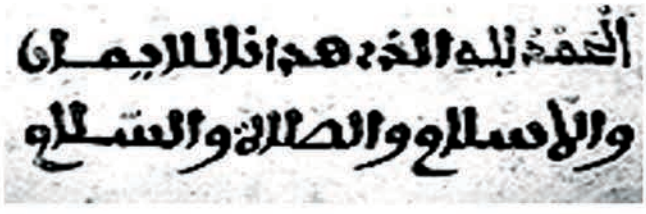

(8) خَطُّ الطُّغْرَاءِ

أو خط الطغرة، ويلفظها العامة (طرة).. والطغراء[1]، ذلك الشكل التجريدى، الذي اعتبر قمة جمالية من جماليات الخط العربي، لايتقنه إلا المجيدون..

وكان الطغرائى يعتبر واحدًا من أصحاب المناصب الستة الرفيعة في البلاط العثماني..

وأصل كلمة «طغراء» غير معروف على وجه التحديد، وذكر في معناها كلام كثير.. فقيل إنها تحريف لكلمة «ترغاى» التركية الشرقية بمعنى: الواقف، أو المرفوع، أو المنتصب.

وقيل إنها تحريف لكلمة «طغرل» بمعنى صقر، أو طائر أسطورى، كان يقدسه سلاطين الأوغوز.. والطغراء: ظل جناح هذا الطائر.

ولعل أقدم طغراء عرفت حتى الآن، هى طغراء أورخان غازى الذي حكم فيما بين عامى 1326، 1360م، وهو ثاني سلاطين الدولة العثمانية.. وظلت الطغراء تكتب للسلاطين إلى نهاية عام 1922.

كان لكل سلطان طغراء خاصة به، يوقع بها على الفرمانات والمعاهدات والرسائل، والبراءات، والأوامر السلطانية.

كما كانت ترسم على بوابات القصور ودور الحكومة..

واستعملت على الأعلام، والنقود، والمسكوكات، والطوابع، والسجلات، والسفن الحربية، والمدافع التابعة لترسانة الدولة.

(1) يراجع في ذلك د. حسن عبد المجيد المعايرجى، مجلة الدوحة العدد 123، مارس 1986.

كيف بدأت الطغراء؟

لا أحد يعرف على وجه التحديد: كيف بدأت كتابة الطغراء، ومَنْ أول من رسمها.. إلا أن الثابت أن الطغراء كان لها شكل بدائى، تطور مع الزمن، ودخلها كثير من التهذيب والتحوير والإتقان، حتى بلغت قرب نهاية حكم السلاطين العثمانيين، قمة في الجمال والإتقان، وأصبح ذلك الشكل التجريدى قمة جمالية من جماليات الخط العربى، لها فنانون في الخط يتقنون رسمها.. ومن أتقنها وأصبح طغرائيا، فقد أعدَّ نفسه لمنصب خطير في الدولة آنذاك.

إذ كانت وظيفة الطغرائى واحدة من المناصب الرفيعة في البلاط العثماني.. فالفرمانات، والبراءات، والمعاهدات، وغيرها من الأوارق الرسمية الهامة تدقق من قبل «الدفتردار» ورئيس الكتاب، ثم تعرض على الصدر الأعظم، الذي يقوم بدراستها، فإذا أجازها وأشَّر عليها بكلمة «صح» اختصارًا لكلمة «صحيح»، أرسلها إلى الطغرائى أو «النيشانجى» الذي يقوم بتدقيقها، فإذا اطمأن لموافقتها للقوانين والمعاهدات السارية، يقوم برسم الطغراء عليها بشكلها الذي وافق عليه السلطان عند اعتلائه العرش، وفي المكان المحدد لها وهو أعلى النص.

ولا يكتفى الطغرائى برسم الطغراء السلطانية، بل كان يزينها بالأزهار والتذهيب، والنقوش، لتبدو لوحه فنية رائعة.

طغراء السلطان سليمان القانونى

مجسم لطغراء السلطان سليمان القانونى

مِمَّ تتكوَّن الطُّغراء؟

تتكون الطغراء من أربعة أجزاء أساسية[1] هى:

أ- السَّرْأة: وهى القاعدة، أو الكرسى، وهى الجزء السفلى الذي يبدأ منه النص الأصلى، وتأخذ شكل الكمثرى.. والنص يُكتب متراكبا في رشاقة وتداخل من أسفل إلى أعلى.

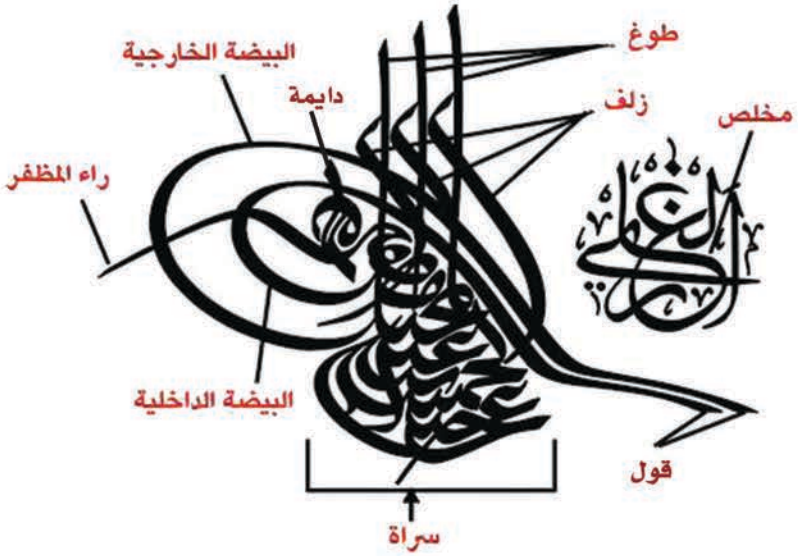

ب - البيضة: وتطلق على القوسين الناتجين غالبا عن كتابة حرفى النون في كلمتى خان، بن، والقوس الخارجى يسمى البيضة الخارجية، والقوس الداخلى يسمى البيضة الداخلية، وتقع بيضة الطغراء في الجهة اليسرى، ولها استدارة رائعة تتناسب مع السرأة في اتزان جميل.

وبعد أن أضيف لاسم السلطان كلمة «مظفر» مدّ حرف الراء بشكل يقطع قوْسى البيضة فزاد من الجمال الانسيابى لهما.

كما يكتب في وسطها كلمة «دائما»، وتسمى «دايمة»، وهى دعاء للسلطان، بأن يكون مظفرًا دائمًا.

(1) لنأخذ طغراء السلطان عبد الحميد خان بن عبد المجيد، التى كتبها الخطاط سامى عام 1323 هـ مثالًا لذلك.

ج - الطوغ: أو الطغ، ويطلق على الخطوط الناتجة من حروف الألف أو اللام أو الطاء، أو الظاء، في أعلى الطغراء، والتى منها اشتق الاسم.

وأحيانا تكون الطوغات لا تمثل أي حرف، وإنما هى عبارة مكملة لشكل الطغراء، ويتدلى من كل طوغ ما يشبه الأعلام التى تخفق في الهواء، وتسمى الواحدة منها «زلفة».

د- قول: ويطلق على ذراع الطغراء الأيمن، الذي يمتد بشكل خطين متوازيين، مع انحناءة لطيفة تكمل الصورة الرائعة لهذا التجريد البديع.

وعلى الجانب الأيمن للطغراء، والمقابل للبيضة، وجد الخطاطون أن هناك فراغًا، فشغلوه بألقاب خاصة بالسلطان، وهنا كتبوا كلمة الغازى، والتى تعرف باسم مخْلَص.

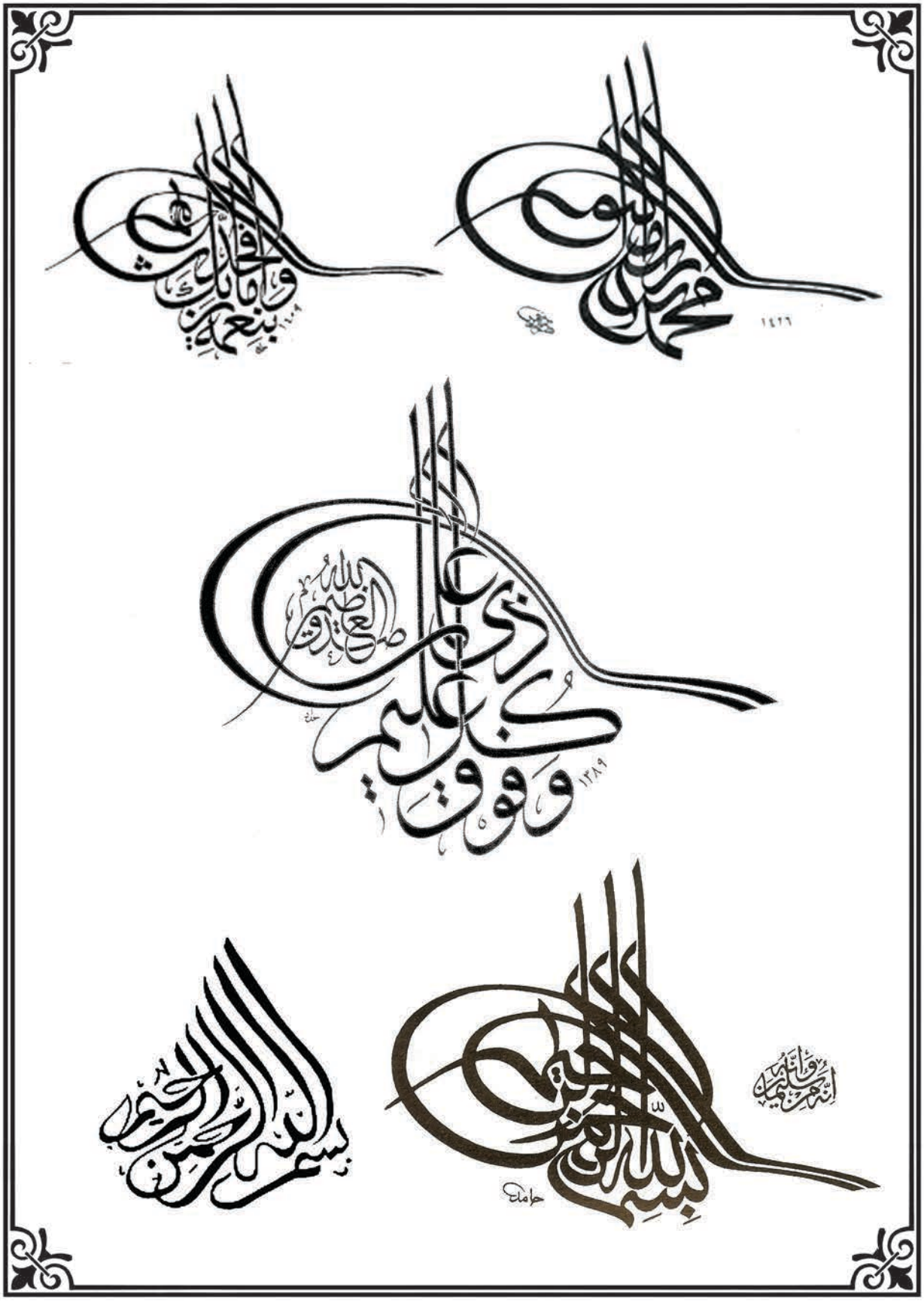

الخط العربي
ومنزلته بين سائر الخطوط

لا شك أن الخط العربى، بجميع أشكاله، هو أرقى الخطوط، وأجملها، وذلك لحسن شكله، ودقة هندسته، وبديع نسقه، وجاذبية صورته.

ثم هو بعد ذلك أعظم الخطوط على الإطلاق.. وقد استمد هذه العظمة من قدسيته، تلك القدسية التى اكتسبها بارتباطه بكتاب الله عز وجل، فبحروفه دُوِّن القرآن الكريم في المصاحف الشريفة.

وكانت تلك القدسية حافزًا ومشجعًا للخطاط المسلم لأن يجوِّد كتاباته تقديرًا لكلام الله عز وجل، ويرى أن في ذلك عملًا يتقرب به إلى المولى سبحانه.. بل من الخطاطين مَنْ كان يتطهر ويصلى قبل أن يشرع في الكتابة.

يقول باول بارتيس: يؤدى الوازع الدينى في الإسلام دورًا أساسيا في عمل الخطاط، الذي يعبر عن التسليم لله والتوكل عليه[1].

والخط فن لا يجيده كل أحد، فهناك خطاطون كثيرون، ولكن المجيدين منهم قليل.. فهو كالموسيقى، يتطلب استعدادًا خاصًا، ليس في متناول كل الناس.. إذ يحتاج إلى تجارب مضنية، وتمارين عديدة، وصبر طويل، وعزيمة قوية، حتى يتمكن الخطاط من رسم الحروف على أحسن أحوالها وتتمكن منها الأنامل، وترتاح إليها الأعين، ويقدّرها الناقدون العارفون بأصول ذلك الفن الراقى.

---

(1) مجلة الفيصل العدد 229.

إن إعداد الخطاط الماهر ليس بالأمر السهل، وهو أصعب من إعداد الرسام..

فمهما بلغ الرسام من القدرة والمهارة، فإنه لن يستطيع تقليد لوحة خطية جميلة، ما لم يكن يتقن القواعد والنسب الخطية.

الخطاطون ومكانتهم:

نظرًا لمنزلة الخط العربى، ومكانته السامية، فقد حظي بعناية خاصة من الخلفاء والسلاطين والحكام.. ولذا فقد أنزلوا الخطاطين منازل كريمة، تفوق كثيرًا تلك التى تبوأها كبار رجال الدولة.

لقد تولى الحكم في الدولة العثمانية من القرن الخامس عشر إلى القرن السابع عشر الميلادى عشرون سلطانا، اهتم كثير منهم بنسخ القرآن الكريم، ورسم اللوحات الخطية.

وكان يحلو لبعض السلاطين والخلفاء النظر إلى الخطاط في أثناء عمله، وكان منهم من يقف أمام الخطاط ليحمل له أدواته!!

كان السلطان أحمد الثالث من تلاميذ الخطاط الشهير الحافظ عثمان.. كان يمسك الدواة لأستاذه وهو يكتب، متخليا بذلك عن أصول التشريفات السلطانية[1]!!

لوحتان من أعمال الخطاط الشهير الحافظ عثمان

(1) يراجع في ذلك كتاب اللوحات الخطية في الفن الإسلامى، إعداد محمد سعيد شريفى، إصدار دارا بن كثير دمشق.

وذات يوم تعجب السلطان من براعة الأستاذ، فسألة:

لا أظن حافظًا آخر يأتى بعدك!!

فأجابه الحافظ عثمان: إذا جاء سلاطين يمسكون الدواة لمعلميهم، مثل سلطاننا، فسيأتى كثيرون مثل الحافظ!!

وكذا كان السلطان محمود خان مع أستاذه مصطفى راقم..

لوحتان من أعمال الخطاط التركى الشهير مصطفى راقم أفندى

ومما يذكر في هذا الصدد، أن السلطان محمود هذا، قبل أن يتولى السلطنة، كان يتعلم الخط على يد أستاذه مصطفى راقم..

وبعد أن تولى السلطنة كان يأتيه في أوقات معينة ليكمل تعليمه، وذات مرة، وعندما شرع الأستاذ في الكتابة، أخذ الدواة وناولها للسلطان، قائلا: أمسك الدواة!!

تعجب السلطان، وأمسك بالدواة وقد كتم غيظه!!

كيف وهو السلطان، يؤمر بالوقوف ممسكا بالدواة؟!!

ولما انتهى الأستاذ من عمله، وقف أمام السلطان، وأدى له التحية المناسبة لمقامه، وقبَّل يده..

تعجب السلطان مرة أخرى، وسأل الأستاذ عن هذا التناقض:

كيف تأمرنى أولًا أن أقف وأحمل الدواة.. ثم أنت الآن تعظمنى وتقبّل يدى، وتقف مكتوفًا؟!!

فأجابة الأستاذ: يا مولاى، إمساك الدواة حق الأستاذية.. أما وقوفى مكتوفًا مقبلا يدك، فهو حق مولاى السلطان!!

فما كان من السلطان إلا أن أنعم عليه، وأجزل له العطاء.

طغراء السلطان محمود خان الثاني كتبها له أستاذه في الخط مصطفى راقم.

نموذج من خط السلطان محمود خان الثاني

الخطُّ العربيُّ والزَّخرفةُ

تميزت الحروف العربية برشاقتها وليونتها، فأصبحت في يد الخطاط طيِّعة يكتب ويصمم بها ما يشاء.. وهذا ما نطق به الغربيون..

يقول أحدهم منصفًا:

وكانت حروف الكتابة «يعنى العربية» في حد ذاتها زخرفة، ولم توجد كتابة تجاريها في رشاقتها وروعتها.. وكما حمدنا لهذا الاتجاه فنه الأصيل، وجماله العميق، فإننا نأسف لما آلت إليه الكتابة «يعنى اللاتينية» على يد مطبعة جوتنبرج!!

لقد تمكن الخطاط المسلم، وغيره من عشاق الحرف العربى، من عمل لوحات خطية ناطقة بالإبداع والجمال والجلال..

تتعانق فيها الحروف وتتشابك في استطالتها، و تتراقص في خيلاء تارة..

وتارة تراها تدور وتنحنى برشاقة لتلتف حول بعضها البعض في حنو رائع..

وتارة أخرى تقف مستقيمة شامخة في تحدٍّ واضح..

لقد عمل الخطاط فكره، واستخدم تلك الحروف العربية في عمل العديد من اللوحات التى شهد لها الجميع بالدقة والروعة، وأقيم لها العديد من المعارض الفنية في كثير من دول العالم. وإليك بعضًا منها:

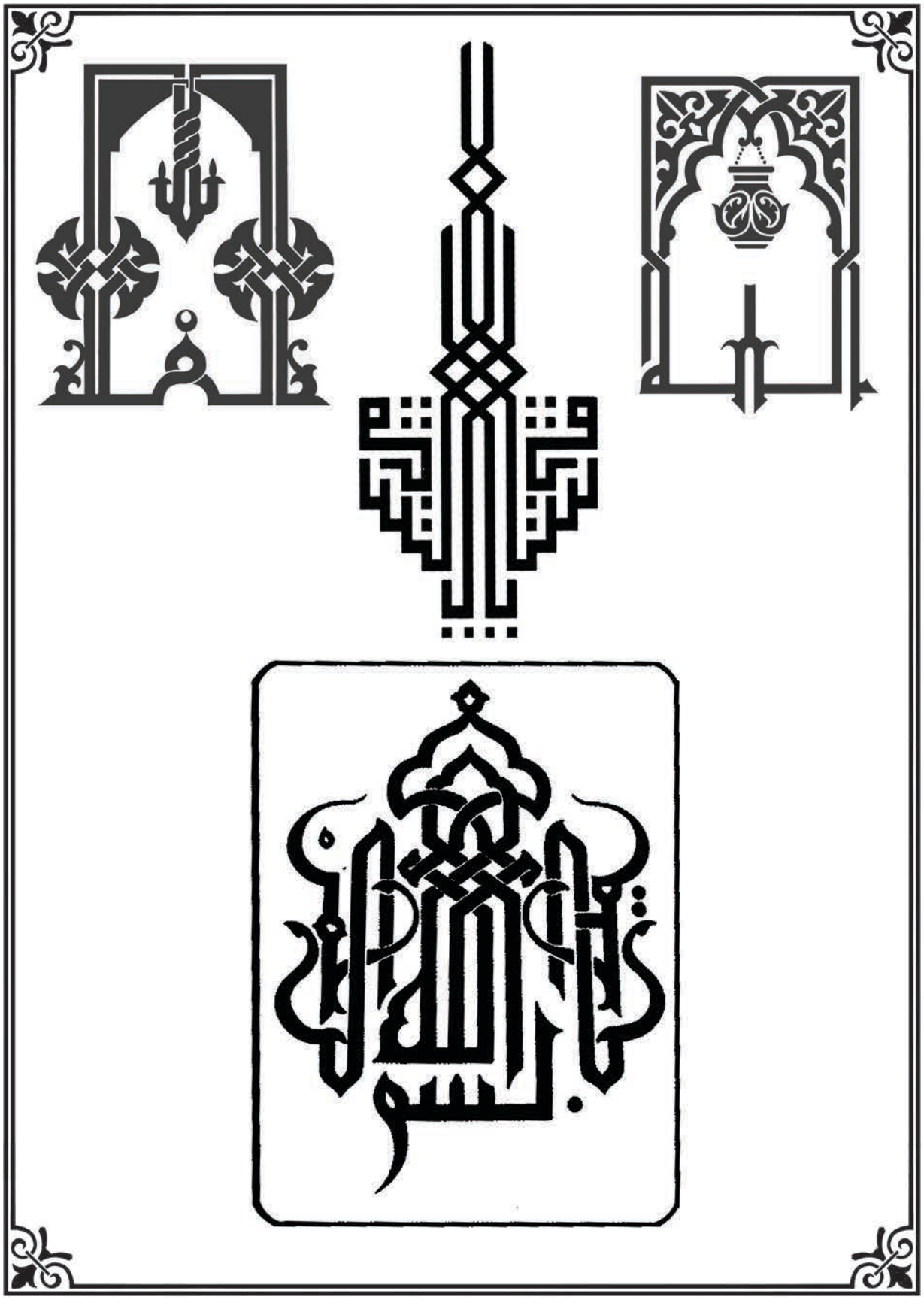

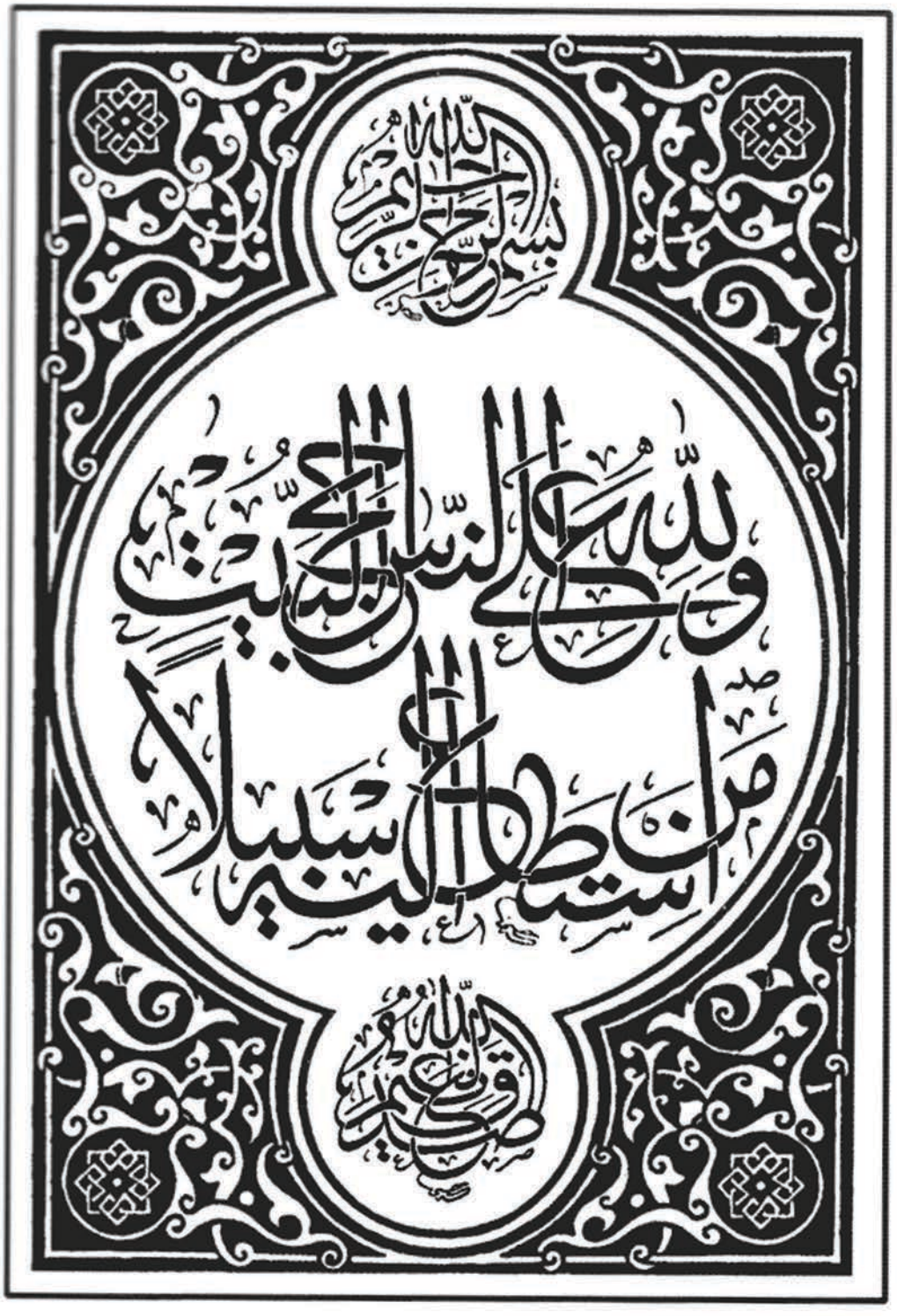
بسم الله الرحمن الرحيم
ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا
صدق الله العظيم

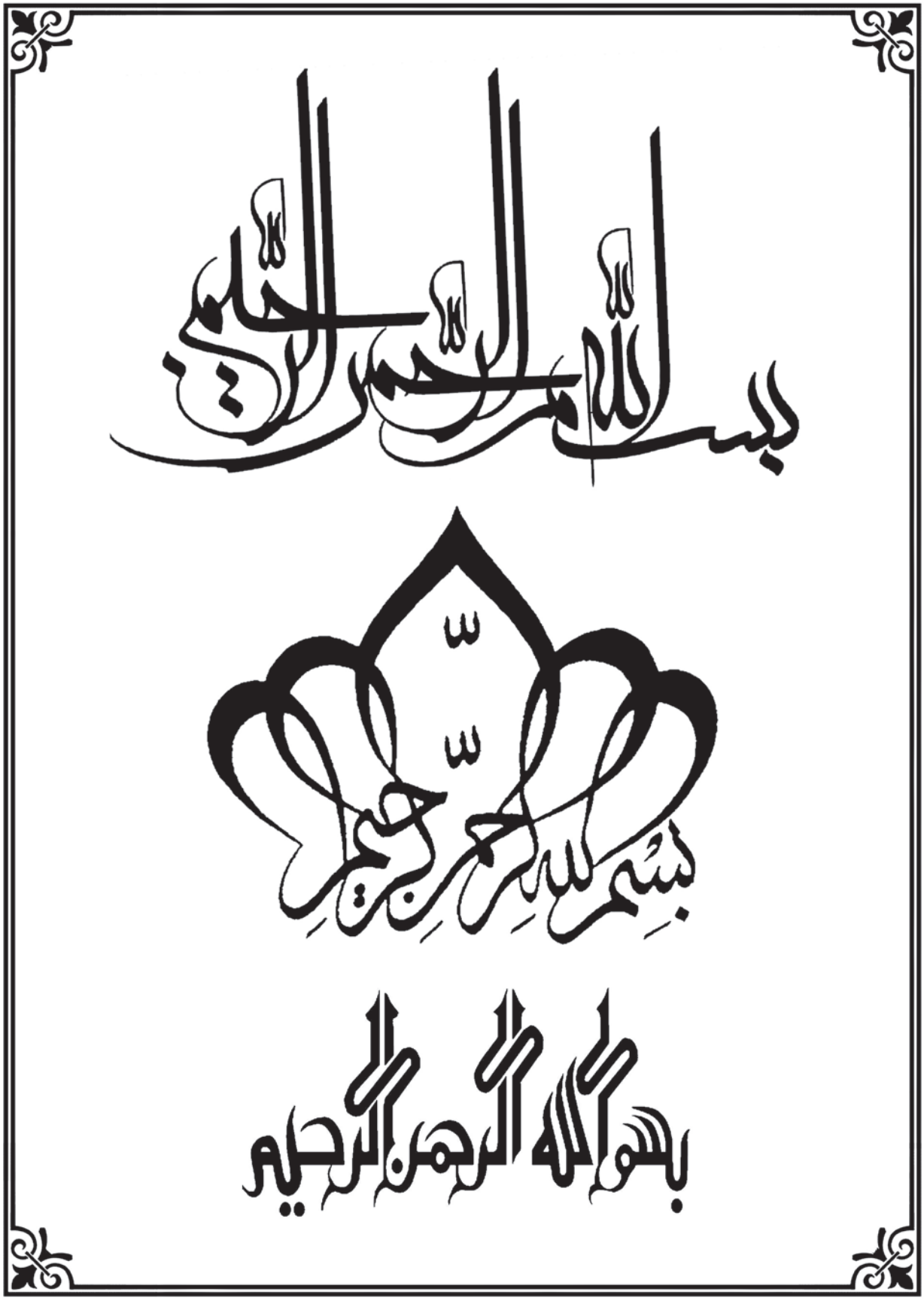
بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم

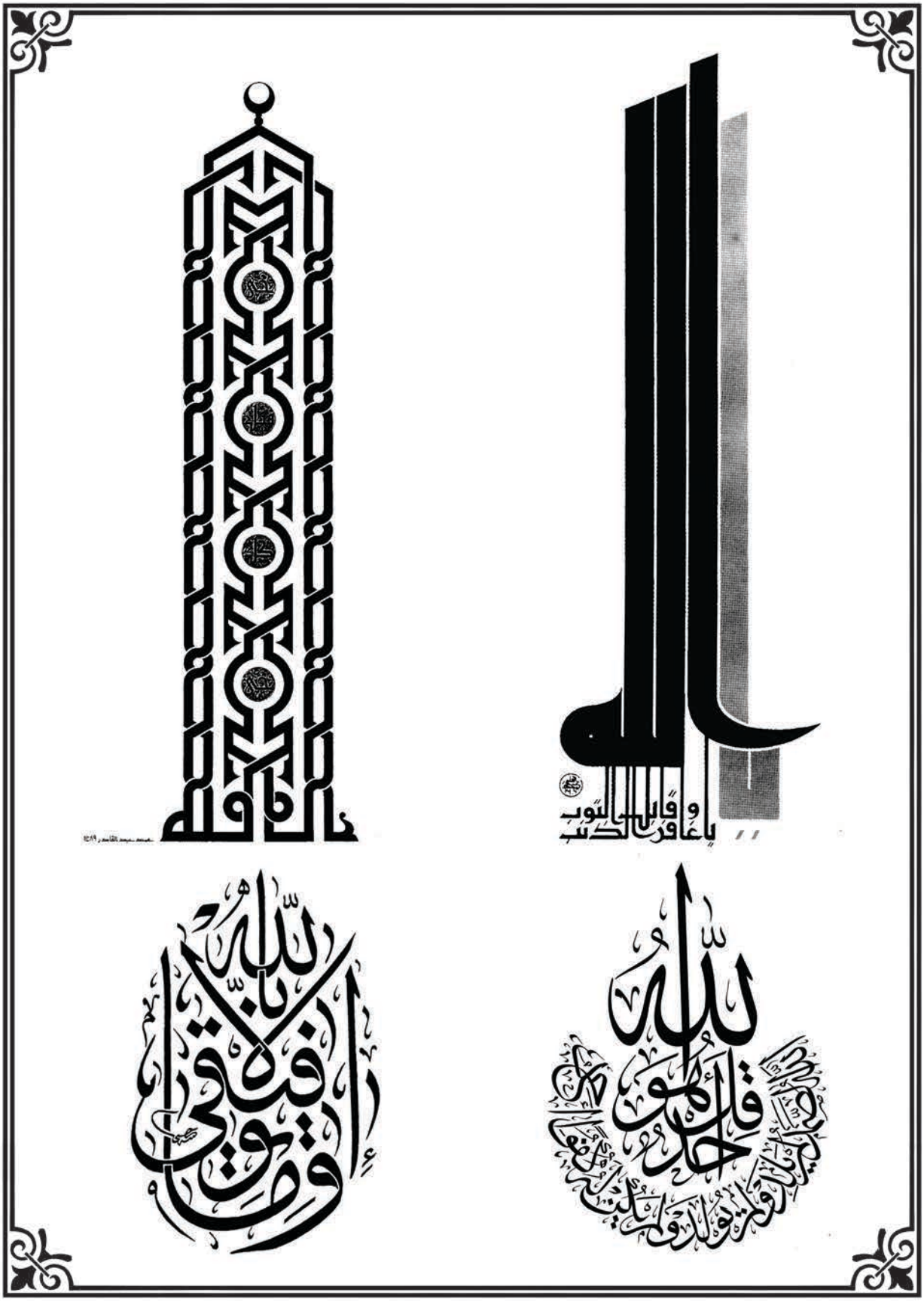
يا غافر الذنب
وقابل التوب
الله
قل هو الله أحد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
أفوض أمري إلى الله

أَهَمُّ الْمَرَاجِعِ

- تاريخ الأدب، أو حياة اللغة العربية.

حفني بك ناصف.

- الخطاطة، الكتابة العربية.

د. عبد العزيز الدالى.

- نماذج فريدة من الخطوط العربية.

أحمد صبرى زايد.

- أحلى الحلى في الديواني الجلى.

جلال أمين صالح.

- أجمل التكوينات الزخرفية في فن كتابة الخط الكوفى.

أحمد صبرى زايد

- تكوينات فنية رائعة في الخط العربى.

أحمد صبرى زايد.

- مجموعة كتب تعليم الخط العربى.

مهدي السيد محمود.

- الخط المغربى: تاريخ وواقع وآفاق.

عمر أبا، محمد المغراوى

- اللوحات الخطية في الفن الإسلامي.

محمد بن سعيد شريفى